

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم . وبعد : فإن أول واجب على الإنسان أن يعرف الله سبحانه وتعالى عن طريق العلم ، قال تعالى : **{ فاعلم أنه لا إله إلا الله }** (محمد: 19) . وأن يعرف رسول ربه ، وصدق رسالته ، عن طريق العلم الذي يورث اليقين ، قال تعالى : **{ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الأبصار }** (الرعد: 19) ، وأن يعرف الحكمة من خلقه في هذه الدنيا ، وأن يعرف مصيره الذي إليه يسير ، وأن يعرف دين ربه الذي هو مأمور باتباعه .

وإذا كان شرف العلم بشرف المعلوم ، فإن علم الإيمان يتعلق بمعرفة الله ، ومعرفة رسوله ، ومعرفة دين الله ، وإذا كانت أهمية العمل تتناسب مع الفائدة التي يجنيها الإنسان منه ، كما تتناسب مع الخطر الذي يدفعه الإنسان عن نفسه بهذا العلم ، فإن علم الإيمان يحقق للإنسان السعادة والفوز العظمي ، ففهم في الدنيا والآخرة . ولقد وعد الله المؤمنين في الدنيا بوعود كثيرة ، منها :

- 1- النصر على أعدائهم ، قال تعالى : **{ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ }** (الروم: 47) .
- 2- الدفاع عنهم ، قال تعالى : **{ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا }** (الحج: 38) .
- 3- الولاية لهم ، قال تعالى : **{ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا }** (البقرة: 257) .
- 4- الهداية لهم ، قال تعالى : **{ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }** (الحج: 54) .
- 5- عدم تسليط الكافرين عليهم ، قال تعالى : **{ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا }** (النساء: 141) .
- 6- التمكين لهم والاستخلاف في الأرض ، قال تعالى : **{ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا }** (النور: 55) .
- 7- الرزق الطيب ، قال تعالى : **{ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ }** (الأعراف: 96) .
- 8- العزة ، قال تعالى : **{ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ }** .
- 9- الحياة الطيبة ، قال تعالى : **{ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً }** (النحل: 97) .

هذا بعض ما يفوز به المؤمنون في الدنيا ، وهذا هو الذي تحقق لأسلافنا المؤمنين الصادقين .

أما الدار الآخرة فحسبهم قول الله سبحانه : **{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا¹ (107) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا² }** (الكهف: 107، 108) . وقوله تعالى : **{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ (8) خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }** (لقمان: 8، 9) .

(1) - أي منزلاً أو ما يهيأ للضيف النازل من طعام وغيره .

ومن يتأمل أحوال المسلمين اليوم يجد أن ما وعد الله المؤمنين به في الدنيا غير متحقق لهم ، مما يشهد بأن إيمانهم ضعيف ، أو أنهم فقدوا صفات كثيرة من الإيمان أو أكثرها ، فغاب عنهم في حياتهم الدنيا ما وعد الله به المؤمنين من : النصر والولاية ، والدفاع ، والهداية ، والاستخلاف ، والتمكن ، وعدم تسلط الكافرين ، والرزق الطيب ، والعزة ، والحياة الطيبة ، ومن استمر على حاله هذا فسيخسر ما أعد الله للمؤمنين في الآخرة كما خسر في الدنيا ، بل ربما خسر نفسه في نار جهنم .

لذلك كان لا بد من تقوية الإيمان وتثبيته وتجديده وذلك بنشر علومه بين المسلمين ، وبتطبيق أحكام الدين ، وكان على العلماء أن يبادروا للقيام بهذا الواجب ، خاصة وهم يشاهدون هجوم المبادئ الإلحادية على المسلمين ، ونشاط الحركات التنصيرية ، كما يشاهدون انتشار الخرافات والأباطيل ، التي يحاول أهلها أن ينسبوها بالباطل إلى الدين .

وهذا كتاب الإيمان نضعه بين يدي المسلمين ، من سلسلة تعليم الواجبات الدينية ، ونسأل الله أن يجعله خالصاً لوجهه ، وأن ينفع به المسلمين .

وإننا نطلب من كل غيور على دينه ، أن يبذل جهده لتعلمه وتعليمه لأهله وجيرانه ، ولسائر المسلمين ، والله الموفق .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الإيمان وحقيقته

لقد بين الله سبحانه و لعباده حقيقة الإيمان الذي يقبل الله به الأعمال . ويتحقق به ما وعد الله المؤمنين .

الإيمان اعتقاد وعمل :

قال تعالى : { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ }

(الحجرات:15) ونرى من هذه الآية ، أن الإيمان المقبول الصادق ، هو الاعتقاد الذي لا يخالطه ريب ، وهو العمل المتمثل في الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله .

ذلك لأن اعتقاد القلب لا يكفي لقبول الإيمان ، فلقد كان إبليس معتقداً بالله ، فقد جاء على لسانه في القرآن الكريم : { رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ } (ص:79) ومع ذلك فقد وصفه الله بالكفر لتكبره عن عمل ما أمره الله به ، قال تعالى : { إِنْ أَيْبَسَ آبَى اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ } (البقرة:34) .

فالإيمان الحق إذن هو الذي يشتمل على :

1- العقيدة الثابتة التي لا يخالطها شك .

2- العمل الذي يصدق العقيدة وهو ثمرتها .

- والعمل أنواع :

- عمل القلب، مثل : الخوف من الله ، والإنابة إليه ، والتوكل عليه .
- عمل اللسان ، مثل نطق الشهادتين ، والتسبيح والاستغفار والدعوة إلى الله.
- عمل الجوارح ، مثل : الصلاة والزكاة والصوم والجهاد في سبيل الله ، وطلب العلم لله ، والتجارة والزراعة والصناعة تحقيقاً لأمر الله في استخلاف الأرض طبقاً لتعاليم الإسلام .

- الإيمان يزيد وينقص :

وهناك أسباب ، تقوي الإيمان ، فيزيد ، قال تعالى : **{وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا}** (الأنفال:2) وهناك أسباب من المعاصي تضعف الإيمان كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن...).

وإذا أردنا الفوز بتحقيق الإيمان فعلينا أن نقيمه:

- 1- تصديقاً ثابتاً في القلوب عن طريق العلم .
 - 2- وعملاً في القلوب : عن طريق التذكير والتفكير ، وخاصة في آيات الله الكونية والقرآنية وفي الوعد والوعيد .
 - 3- وقولاً باللسان : وبكثرة الذكر وقول الحق ، والدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وتعلم العلم وتعليمه ، والنواصي بالحق والنواصي بالصبر .
 - 4- وعملاً بجوارحنا : بإقامة أركان الإسلام ، والجهاد في سبيل الله بالمال والنفوس ، وبمجاهدة النفس للامتثال لأمر الله ، وبمجالسة الصالحين كما قال تعالى : **{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا}** (28) **وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ** (الكهف:28،29) .
- وهذا كله يحتاج أولاً إلى إصلاح القلوب وتنقيتها من الأمراض الصادة عن الهدى.

إصلاح القلوب

{يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ} (88) إِنْ أُنِىَ اللَّهُ بِقَلْبِ سَلِيمٍ (الشعراء: 88، 89).

- القلب السليم قلب المؤمن:

فكما أن الأرض الصالحة للزراعة تتصف بأوصاف فكذا قلب المؤمن يتصف بأوصاف، منها :

1 - الإقبال على الحق :

الذي ينتج عنه معرفة الحق واتباعه ، قال تعالى : **{فَبَشِّرْ عِبَادِي (17) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا النَّجَابِ}** (الزمر: 17، 18) أما القلوب الكافرة السقيمة ، فتراها معرضة عن الحق ، فتبقى جاهلة لا تهتدي إليه ، قال تعالى : **{وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ}** (الأنعام : 4) .

2 - حب الحق وانسراح الصدر للإسلام :

وصاحب القلب السليم يحب الحق ، وينشرح صدره لتعلم الإسلام ، فيستحق بذلك هداية الله . وأما صاحب القلب السقيم ، فتراه يكره الحق ، ويضيق صدره لسماع الإسلام ، وبهذا يعرض نفسه لعقاب الله له بإضلاله ، قال تعالى : **{فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ}** (الأنعام : 125) وذلك لأنهم يكرهون الحق ، قال تعالى **{بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ}** (المؤمنون : 70).

3 - إجابة دعوة الإيمان ، وحب الازدياد منه :

وصاحب القلب السليم يستجيب لدعوة الإيمان ، كما حكى الله عن أهل القلوب السليمة قولهم : **{رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ النَّبِيرَارِ}** (آل عمران : 193) ويحب المؤمن دائماً أن يزداد من الإيمان ، قال تعالى : **{وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَكُنْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (124) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَادَتْهُمْ رَجْسًا إِلَى رَجْسِهِمْ}** (التوبة: 124، 125) . وأما أهل القلوب المريضة فتراهم يصدون عن سبيل الله ، قال تعالى : **{الَّذِينَ يَسْتَحْبُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ}** (إبراهيم: 3).

وترى أهل القلوب السليمة يتفكرون في أنفسهم ، وفي خلق السماوات والأرض ، وفي الهدى الذي جاءهم من خالقهم ، يعرفهم الحكمة من حياتهم ، وموتهم ويصف لهم ماضيهم ومستقبلهم ، والجنة التي أعدها الله لعباده المؤمنين ، والعذاب الذي ينتظر الكافرين ، ويتفكرون في معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأدلة صدقه وكيف يطبقون ما أمرهم به لتحقيق لهم سعادة الدنيا والآخرة ، وليتقوا عذاب النار ، قال تعالى : **{الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}** (آل عمران : 191) ولكن الكافرين ، عطلوا أسماعهم وعقولهم ، عما خلقت له من التفكير ، فلا يعترفون إلا يوم يندمون يوم القيامة ، كما قال تعالى عنهم : **{وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (10) فَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ}** (الملك: 10، 11) .

4 - التذكر :

والإنسان ينسى ، ولكن صاحب القلب السليم يتذكر فيبصر ولا يعمى : **{إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ}** (الأعراف: 201) ، لذلك شرع الله التذكير ، فقال سبحانه : **{وَذَكَّرْ فَإِنَّ الدُّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}** (الذاريات: 55) ، وقال سبحانه : **{فَذَكَّرْ إِنَّ نَفْعَتِ الدُّكْرَى (9) سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى (10) وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (11) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (12) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا}** (الأعلى: 9-13) أما أهل القلوب السقيمة فتراهم في غفلة لا يؤمنون ، قال تعالى : **{وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}** (مريم: 39) فإن ذكرت بعض الغافلين عن الآخرين فربما يقول لك: أجنبت لتعلمني الإسلام اليوم؟ وأنا مسلم خير منك؟! .

5 - اليقين :

وترى صاحب القلب السليم الذي يتفكر ويتعلم ، ويتذكر ، قد وصل إلى اليقين كما بين ذلك ربنا في قوله سبحانه: **{إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ(3)وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}** (الجاثية: 3، 4) أما الغافل المعرض فتراه في ريب وشك ، قال تعالى : **{بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ}** (الدخان: 9) .. ولا يعرف اليقين إلا كما قال تعالى : **{وَلَوْ تَرَى إِذَ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ}** (السجدة: 12) .

6 - لين القلوب لذكر الله :

وترى أهل القلوب السليمة تلين قلوبهم وجلودهم لذكر الله وآياته ، أما الكافرون فترى قلوبهم قاسية، قال تعالى:**{أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ(22)اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ}**(الزمر: 22، 23) . فترى أهل هذه القلوب القاسية يتكبرون ويعاندون ويجحدون الآيات والدلائل ، قال تعالى : **{وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا}** (النمل: 14) ، وهؤلاء المتكبرون يعاقبون ، قال تعالى : **{سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ}** (الأعراف: 146) . هذا في الدنيا وأما يوم القيامة فجزاؤهم كما قال تعالى : **{وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ}** (الأحقاف: 20).

7 - اتباع القرآن والسنة :

وترى صاحب القلب السليم ، قد التزم الطاعة لربه ولرسول ربه ، وأخذ يسلك في هذه الدنيا في كل شأن من شؤونه ، طبقاً لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى : **{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}** (التوبة: 71). والتزم أمر الله القائل : **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ}** (النساء: 58) ، والقائل : **{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}** (الحشر: 7) ، ذلك لأن طاعة الرسول طاعة لله ، قال تعالى : **{مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ}** . وأما صاحب القلب المريض فتراه يتبع كل شيطان مريد ، وتراه يتبع هواه ويعبد نفسه لغير الله ، ويندم لكن يوم لا ينفع الندم ، قال تعالى : **{يَوْمَ تَقْلُبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ}** (الأحزاب: 66). فإذا اتصفت قلوبنا بالصفات الطيبة السابقة فعندئذ نكون من أهل القلوب السليمة الصالحة التي تنبت فيها شجرة الإيمان، وتترعرع وتثمر الأعمال الصالحة وإذا كنا لا نجد في أنفسنا الأعمال الصالحة فإذن ذلك يرجع إلى ضعف شجرة الإيمان التي نبتت في قلوبنا والتي لم تستكمل صفات الصلاح، وما لم نبادر بإصلاح ما في قلوبنا فلن يتغير شيء من حالنا ، قال تعالى : **{إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}** (الرعد: 11) . وقال عليه الصلاة والسلام : (ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب)³. ولن تصلح القلوب إلا بنمو الإيمان فيها وتمكنه .

الإيمان بالله

- الإيمان بالله تعالى واجب على الإنسان :

(3) - رواه البخاري ومسلم من حديث النعمان بن بشير .

إذا تفكر الإنسان قليلاً سيجد أن الله الذي خلقه قد أعطاه أدوات يتعلم بها سائر العلوم الدينية والدينية وبغيرها لا يمكنه أن يكتسب شيئاً من علم ، قال تعالى : **{وَاللّٰهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ (4) لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }** (النحل: 78) . ومن أول شكره سبحانه أن نستخدم أدوات العلم التي وهبنا إياها، في العلم به ، قال تعالى : **{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ }** (محمد: 19) وبغير أن يعلم الإنسان خالقه لا يمكنه أن يتبع هداه الذي يسعده في الدنيا والآخرة فيكون من الخاسرين ، لذلك كان أول واجب على الإنسان أن يعرف الله تعالى .

العلم طريق الإيمان

وإذا أراد الإنسان إيماناً صحيحاً فعليه بالعلم ، قال تعالى : **{أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ }** (الرعد: 19) ، ذلك لأن إيمان المقلد لغيره سرعان ما يهتز عند أول امتحان وعند أول شبهة، قال تعالى : **{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ }** (الزمر: 9) وقال : **{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ }** (الحج: 11).

الأدلة العلمية على الإيمان بالله سبحانه

القواعد العقلية

- القاعدة الأولى - العدم لا يخلق شيئاً :

العدم الذي لا وجود له لا يستطيع أن يصنع شيئاً لأنه غير موجود .

الموجود

إذا تأملنا في المخلوقات التي تولد في كل يوم ، من إنسان ، وحيوان ، ونبات، وتفكرنا في كل ما يحدث في الوجود ، من رياح ، وأمطار ، وليل ، ونهار ، ونظرنا إلى ما يجري في كل حين : من حركات منتظمة للشمس والقمر، والنجوم والكواكب ، إذا تأملنا في هذا وغيره من التغيرات المحكمة التي تجري في الوجود ، في كل لحظة ، فإن العقل يجزم بأن هذا كله ليس من صنع العدم ، وإنما هو من صنع الخالق الموجود سبحانه. قال تعالى : **{أَمْ خُلِفُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِفُونَ (35) أَمْ خُلِفُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَلْ لَا يُوقِنُونَ }** (الطور: 35، 36) .

- القاعدة الثانية - التفكير في المصنوع يدل على بعض صفات الصانع :

إن كل شيء يوجد في المصنوع يدل على قدرة ، أو صفة عند الصانع ، فلا يمكن أن يوجد شيء في المصنوع ، إذا كان الصانع لا يملك قدرة ، أو صفة مكنته من فعل ذلك الشيء في المصنوع . مثال :

إذا رأيت باباً من خشب ، قد أتقن صنعه ، فإنك ستعلم أن الصانع يملك الخشب، وأنه يستطيع أن يقطعه بانتظام ، وأنه قادر على أن يجعل الخشب أملس، وأنه يملك مسامير ، وأنه يقدر على تثبيت أجزاء الباب بالمسامير، وأن لديه خبرة في صناعة الأبواب.. فإذا وجدنا ثقباً منتظماً في الباب (محل المفتاح) شهد لنا ذلك بأن الصانع لديه قدرة ، على ثقب الباب بدقة وأن لديه إحكاماً في عمله ، وهكذا نجد كل شيء في

المصنوع ، يدل على قدرة، أو صفة عند الصانع ، لأنه لا يمكن أن يوجد في المصنوع إلا إذا كان الصانع يملك قدرة أو صفة تمكنه من صنع ذلك الشيء .

وهكذا سنجد أن التفكير في المصنوع يدلنا على بعض صفات صانعه ، ومن هنا نعرف أن التفكير في المخلوقات يدل على بعض صفات الخالق.. قال تعالى : **{إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ(3)وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبْتُ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ(4)وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ(5)تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تُنَالُهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ}** (الجمعة: 3-6) ، وإذا ما تأملنا وتفكرنا في المخلوقات فستعلمنا آيات الله فيها ببعض صفات الله سبحانه ، قال تعالى : **{قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}** (يونس:101)، وقال تعالى : **{أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ أَفْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ}** (الأعراف: 185).

الحي الدائم

إن الطعام الذي نأكله لا يسمع ، ولا يبصر ، ولا يتحرك ، ولا ينمو ، ولا يتنفس ولا يتزوج ولا ينام ، ولا يستيقظ ، فإذا دخل الطعام جسمك أصبح جسماً حياً ، يتصف بالأوصاف السابقة ، وكذلك الحال في طعام الحيوان ، وكذلك مواد الماء والتراب والهواء التي يتغذى بها النبات لا تنمو ولا تثمر ولا تتنفس ولا تتغذى . فإذا دخلت جسم النبات تحولت إلى نباتات حية، ذات بهجة، فهذه الحياة التي تدب في كل جسم ، من نبات أو حيوان أو إنسان ، في كل يوم ، وفي كل لحظة تشهد أنها من صنع واهب الحياة .

ولقد حاول الإنسان أن يخلق الحياة ؛ فباء بالفشل الذريع ، وأعلن الباحثون في الشرق والغرب عجزهم عن خلق الحياة ، وصدق الله القائل : **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ(73)مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}** (الحج: 73، 74) نعم : والبشر يعجزون عن استرداد أي شيء يأخذه الذباب ، لأنه بمجرد أخذه يصب عليه من لعابه ، فيحوّله من فوره شيئاً آخر لا تنفع استعادته .

إن الحياة التي وهبت ، وتوهب على الدوام في الكائنات الحية ، لا تكون إلا من الحي الدائم سبحانه . وكل حياة يهددها الموت حتى جاءت أسبابه ، لكن خالق الأسباب لا تضره الأسباب ، فهو الحي الدائم الذي لا يموت . قال تعالى : **{لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}** (الحديد: 2) ، وقال سبحانه: **{وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ}** (الفرقان : 58) .

العليم

إذا تأملت في أجنة الحيوانات ، ستري أن العيون تخلق في أرحام الأمهات، حيث الظلام الشديد ، مع أن العيون لا ترى إلا في الضوء، فيشهد ذلك : أن الذي يخلق العيون ، يعلم أن تلك الأجنة ستخرج إلى عالم فيه النور، وهكذا يشهد خلق الأجنة للطيور داخل البيض : أن الخالق يعلم أنها ستطير في الهواء، فخلق لها الأجنة قبل ولادتها ، وهكذا كل مخلوق ترى خلقه وهو جنين، قد أعد بما يناسب ظروف الحياة التي سيعيش فيها، حتى جنين الشجرة (البذرة) يهيئه الله بجزء يكون الأوراق والأغصان ، وجزء يضرب في الأرض لامتصاص الماء والتراب(الأملح) ، ولا يكون ذلك ، إلا من صنع من يعلم أن النبات سيحتاج إلى الماء ، والتراب ، والضوء ، والهواء .

وإذا رأيت الذكور تخلق ، فستري أن الخالق قد علم أعدادها ، فخلق لها من الإناث ما يكفي لبناء الأسر وسيشهد لك ذلك أنه من صنع العليم سبحانه، قال تعالى : **{وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}** (الذاريات:49).

والماء العذب إذا كان راكداً تعفن ، ولكن العليم بذلك جعل البحار مالحة ، وجعل موجهها متحركاً ، حتى لا تفسد الحياة على الأرض بعفونة البحر.

هذا وكل ما في الكون يشهد : بأن الخالق لهذا الكون لا شك عليم بما يخلق ، سبحانه، وهو القائل : **{أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}** (المك:14). وعلم الله محيط بكل شيء لم يسبقه جهل ، ولا يدخل عليه نسيان، قال تعالى: **{لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا}** (الطلاق:12).

الحكيم

وإذا تأملت في صور المخلوقات ، وجدت أن كل جنس يحكمه الخالق سبحانه على مثال واحد . ففي الإنسان : العينان في الوجه، والأنف بينهما، واليدان في الجانبين ، والقدمان من أسفل . ولا تجد أن عيناً ، نبتت لإنسان في ركبته، أو يداً ظهرت في رأسه ، وهذا يشهد أنه من صنع الحكيم ، الذي أحكم خلق الإنسان. وكذلك كل جنس من الحيوان ، أو النبات قد أحكمه ربه ، على صورة ومثال واحد.

فمن أحكم هذه الصورة إلا القائل : **{هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَإِلَهِ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}** (آل عمران : 6). وإذا تأملت في الهواء الذي تتنفسه ، ستري أنك تستهلك الهواء الصالح (الأكسجين) وتحوله إلى هواء فاسد (ثاني أكسيد الكربون) ، ولكن مقدار الهواء الصالح لا ينقص ، لأن الخالق ، جعل النبات ، يعوض الهواء الصالح ، بقدر محكم ، بحيث تبقى نسبة الهواء عند قدر معلوم ، لا تزيد ولا تنقص ، ألا يشهد ذلك: أنه من صنع العليم الحكيم؟!

وإذا نظرت على أنفك ، وجدته قد أحكم ليتناسب مع وظيفته ، فالهواء يدخل من ثقبين بين العينين ، لكن العليم الحكيم غطى هذين الثقبين بالأنف ، وجعل النصف الأعلى من الأنف عظماً ، حتى لا تضغط الرياح على هذا الغطاء، فتسد الثقبين ، فيمتنع التنفس ، كما يشارك عظم الأنف على حماية العينين وفتح الأنف باستمرار لدخول الهواء، إذ لو كان الأنف كله من عظام لما تمكنا من إخراج المخاط . وجعل الخالق جدار الأنف مانعاً لكي يصطدم الهواء بالجدار المائل ، فيرده إلى الحواجز الداخلية ، ليصطدم الهواء بالجدار المائل ، فيرده إلى الحواجز الداخلية، ليصطدم بها ، فيلامس الهواء الداخل المحاط المبطن لجدار الأنف، فتلتصق به الجراثيم، والأتربة، فيتصفى الهواء قبل دخوله.. وفي الشتاء تتكاثر الدماء في الأنف ، فتراه محمراً، وذلك لتدفئة الهواء الداخل ، وفي الصيف يقوم الأنف بترطيب وتبريد الهواء الجاف، أو الحار. ألا يشهد ذلك كله أنه من صنع العليم الحكيم؟!

وهكذا : لو تأملنا في خلق كل شيء في الأرض والسماء، لوجدنا أنه قد خلق في غاية الإحكام. والإحكام في كل شيء ، يشهد لكل عاقل ، أنه من صنع الحكيم العليم سبحانه، قال تعالى : **{وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ}** (الزخرف: 84) .

الخبير

تأمل إلى طعامك ؛ كيف خرج من تراب ، وماء واحد أنواع مختلفة الثمار، والألوان : ستجد ذلك يشهد لك أنه في غاية الإحكام وتأمل إلى هذا الطعام : كيف يكون منه الخبير سبحانه ، لحماً ، ودماً ، وعظماً ، وشحمًا ، ولبنًا، وجلدًا ، وشعراً ، وأصابع ، وأظافر، وأعصاباً ، وسوائل، مختلفة.

وتأمل إلى وجهك ؛ كيف يخرج اللعاب من الفم والمخاط من الأنف ، والدمع من العينين ، والشمع من الأذنين ، وكل هذه الإفرازات من طعام واحد!! فيشهد لك خلقها أنها من صنع الخبير .

وكيف يكون الحال لو خرج اللعاب من الأنف؟ والمخاط من الفم؟ والشمع من العين؟ والدمع من الأذن؟ فمن حدد التركيب؟! ومن حدد المكان؟ أليس هو العليم الخبير الحكيم.

والنطفة التي خلق الإنسان منها ؛ جعلها الخبير العليم الحكيم أعضاء متباينة، وأجهزة محكمة ، متعاونة لخدمة الإنسان .
والسمك في البحر يحتاج إلى الهواء لتنفسه ، فأذاب له الخبير الرحيم الهواء، مع قطرات المطر ، التي تنزل في البحر، وأعد السمك بجهاز خاص (الخياشيم) لتستخلص به ذلك الهواء الذائب في الماء .

وإذا تفكرت وأمعنت النظر وجدت كل شيء في الكون، قد صنع بخبرة بالغة، تشهد لك أنها من صنع الخبير سبحانه.

الرزاق

عندما كان الإنسان حبيساً في ظلمات الرحم، ولا يستطيع بشر أن يمده بشيء، ومن ماء ، أو غذاء، حتى الأب، والأم التي هو في جوفها يتخلق ، لكن رحمة ربه الرزاق ساقط له الرزق ، ناضجاً مهضوماً، من أنبوبة هي حبل السرة، وعندما يخرج الطفل وينقطع حبل السرة ، يخرج الرزاق غذاء ذلك الوليد من ثدي أمه ويلهمه استخراج ذلك الغذاء (اللبن) بمص الثدي ، وهو بعد لا يبصر، ولا يسمع ولا يعقل .

ثم يرزق الله العباد من النباتات ، والأشجار ، التي تصنع الطعام من الماء ، والتراب والهواء ، ويسخر الله الشمس للنبات ، لإتمام صنع الغذاء الذي يحتاجه الإنسان ، والحيوان ، وما كان للغذاء أن يوفر لولا أن الله يسوق الماء العذب ، ويهيئ التربة الصالحة للزراعة، ويوجد الجو ، والظروف المناسبة، لإنتاج الغذاء من النباتات، قال تعالى : **{فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ(24) أَأَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبَابًا(25) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقَاقًا(26) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا(27) وَعَيْنًا وَقُضْبًا(28) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا(29) وَحَدَائِقَ غُلْبًا(30) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا(31) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنعَامِكُمْ(عيس:24-32)}**.

فإذا أكل الإنسان ، أو الحيوان الطعام ، وتم هضمه بما خلق الله خلق لكل كائن من أجهزة هضم، ساقه الرزاق إلى كل نقطة في جسم الكائن الحي سواء كانت في وسط المخ ، أو على سطح الجلد، أو مخ العظام.. وصدق الله القائل: **{أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا(5) فِي غُتُوٍّ وَنُفُورٍ(الملك:21)}**.

إن الرزاق سبحانه ، قد تكفل بالأرزاق ، فساق رزق بعض الأسماك إلى أعماق البحار ، وساق رزق بعض الدود ، إلى جوف الصخر ، وساق رزق الأجنة إلى ظلمات الأرحام ، وساق رزق جنين النبات ، إلى جوف البذرة.. قال تعالى : **{وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ(هود:6)}** وقال: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ(فاطر:3)}** . ومن أيقن أن رزقه موهوب له من خالقه، فلن يقدر أحد على سلبه رزقه ولن يخشى على رزقه أحد غير الله .

الهادي

إذا تأملت في أهذاب الجفن الأعلى في العين ، وجدتها تنحني إلى أعلى ، وأهذاب الجفن الأسفل ، تنحني إلى أسفل ، ولو انعكس الأمر لتشوشت رؤية العين .. فمن هدى ويهدي كل شعرة في كل جفن ، من إنسان أو حيوان، إلا الهادي سبحانه؟!

من الذي يهدي أسنان الفك الأسفل أن تتجه إلى أعلى ، وأسنان الفك الأعلى أن تتجه إلى أسفل؟! . من الذي هدى الإنياب أن تنمو فوق الأنياب؟! . والأسنان فوق الأسنان؟! والأضراس (المطاحن) فوق الأضراس؟
من؟ إلا الهادي {الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (2) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى} (الأعلى: 2، 3) من يهدي كل عضو في كل جسم ، من نبات ، أو حيوان ، أو إنسان ، إلى أن يأخذ مكانه الصحيح ، بين باقي الأعضاء ، وأن ينمو بالقدر المناسب لباقي الأجزاء؟!
ومن الذي يهدي البذرة (الحبة) وهي تشق التربة عند نموها أن ترسل العروق (الجذور) إلى أسفل ، والساق والأوراق إلى أعلى؟! ولماذا لم نجد بذرة واحدة ينعكس الأمر فيها؟!
ألا يشهد ذلك كله صاحب عقل : أن ذلك من صنع الهادي سبحانه؟
من الذي يهدي أوراق الشجر إلى التوزع على الساق ، أو على الأغصان، فإذا خرجت الورقة الأولى من جهة ، خرجت الثانية من جهة أخرى؟!
من الذي يهدي الشمس ، والقمر ، والنجوم في حركاتها ، ويهدي الطيور الرحالة إلى بلدانها البعيدة؟!
ألا هو الهادي : {الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (2) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى} (الأعلى: 2، 3) والذي يهدي الشعرة ، والبذرة الورقة ، وأكمل هدايته للإنسان فأرسل له الرسل وأبان له الهدى .
ومن أيقن أن الله هو الهادي الحكيم فلن يقبل أي فكرة تعارض هدى الله ، شعاره قول الله تعالى: {قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى} (الأنعام: 71)

الحافظ

إن الذي حفظك من الأخطار وأنت تتخلق في بطن أمك ، هو الذي يحفظ المخ الضعيف بقفص قوي من عظام الجمجمة ، ويحمي العين بعظام الحاجب والأنف والوجنة، ويحمي القلب والرئتين بالقفص الصدري .
إنه الذي لم يكلفك بإدخال الهواء إلى جسمك ، أو إخراجة في نومك أو في يقظتك، ولو كلفك ذلك ، لما تمكنت أن تعمل شيئاً ، غير إدخال الهواء وإخراجة ، فإن غلبك النوم، انقطع عنك الهواء ويأتيك الموت.
إن الحافظ هو الذي يسوق السحب فوق رأسك ، فلا ينزلها سيولاً تصب، فتهلك الحرث والنسل .
إن الحافظ سبحانه هو الذي أحاط الأرض بغلاف من الهواء يمنع من الأشعة الكونية القاتلة القادمة من الشمس والنجوم؛ من أن تهلك الحياة والأحياء، وهو الذي جعل غلاف الهواء درعاً واقياً من تدمير الشهب، والنيازك التي تسقط على الأرض بالملايين ، كل يوم وليلة، وهو الذي ثبت الأرض، من أن تميد تحت أقدامنا بالجبال الراسيات!!
أفلا نشكر للمولى سبحانه : أن حفظنا من داخلنا ، ومن فوقنا ، ومن تحتنا وصدق الله القائل : { لَهُ مُعَقَّبَاتٌ (6) مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ } (الرعد: 11) .
ومن أيقن أن الله حافظه ، فلا يضره من في السماوات والأرض إلا بما قدر الله له، شعاره قول الله : {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا} (التوبة: 51) .

صفات أخرى

(6) - معقبات : ملائكة تتعاقب على حفظه في الليل والنهار .

وإذا تأملت إلى الطعام الواحد ، أكله الأسرة ، فيتكون في جسم الرجل رجلاً ، وفي جسم المرأة امرأة وفي جسم الطفل طفلاً .. فغذا أكله الهر تحول على جسم هر ، وإن أكله الفأر ، أو الكلب ، كان فأراً أو كلباً ، مع أنه نفس الطعام، فسبحان المصور الذي يصور كيف يشاء .

وإذا تأملت إلى حنان الأم ، ورحمتها بابنها ، سواء كانت امرأة ، أم أنثى حيوان ، وجدت التضحية البالغة تظهر لك ، حتى إن الدجاجة التي تخاف من صوت الطفل تنتفش ، وتهاجم من أراد فراقها بسوء .

إن تلك الرحمة التي تحمي بها صغار المخلوقات تشهد أنها من صنع الرحيم الرحمن.

وإذا تأملت إلى ضخامة المخلوقات : كالنجوم ، التي هي أكبر من أرضنا بملايين ملايين المرات ، وتأملت إلى أدق المخلوقات التي تجتمع الملايين منها في قطرة ماء، وسألت نفسك : كيف خضعت كل هذه المخلوقات ، لسيطرة واحدة، ونظام محكم دقيق؟! عندئذ ستجد الإجابة : بأن هذا من صنع القوي المهيم سبحانه وتعالى.

الواحد الأحد

ويقدم الوجود كله شهادة بأنه من صنع الواحد الأحد .

فأنت ترى أن غذاءك ؛ يتوقف على عمل المعدة، والأمعاء ، ويقول الأطباء: إن عمل الأمعاء يتوقف على عمل الدماغ ، ويتفوق دور الدماغ على الهواء وحركة التنفس ، ويتوقف الهواء الصالح للتنفس على عمل النباتات، ويتوقف عمل النباتات على وجود الشمس ، ووجود الشمس يتوقف على وجود الكواكب المحيطة بها والنجوم الأخرى .. وهكذا نجد : أن كل شيء ، يعتمد في وجوده وعمله على غيره من الأشياء كما رأينا ، أن المعدة مرتبطة بنجوم السماء ، وذلك يشهد أن الجميع من صنع رب واحد ، قال تعالى : **{مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ}** (المؤمنون:91) وقال تعالى : **{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ(1)اللَّهُ الصَّمَدُ(2)لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ}** (الإخلاص: 1-3) .

ولو كان هناك آلهة غير الله لحدث الصراع بينهم على تسيير هذه المخلوقات وعندئذ يذبح الفساد على الأرض والسماء ، قال تعالى : **{لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ}** (الأنبياء: 22) .

- من صاحب هذه الصفات؟

رأينا مما سبق أننا إذا تفكرنا في الكون والمخلوقات من حولنا وجدنا أن كل شيء يشهد بأن خالق هذه المخلوقات هو : الخالق ، الحي ، الدائم ، العليم ، الحكيم ، الخبير ، الرزاق ، الهادي ، الحافظ ، المصور ، الرحيم ، القوي، القادر ، المهيم، الواحد ، الأحد .وكما شهد الكون كله بهذه الشهادات فإن المسلم قد شهد مع الكون كله وردد هذه الشهادة عن علم ويقين فقال: (أشهد أن لا إله إلا الله).وإذا كنا عرفنا من القاعدة الأولى : أن العدم لا يخلق شيئاً ، وعرفنا من القاعدة الثانية بعض صفات الخالق ، فإننا سنعرف من القاعدة الثالثة أنه لا يتصف بهذه الصفات إلا أن الله وحده لا شريك له .

- القاعدة الثالثة - فاقد الشيء لا يعطيه :

إن الذي لا يملك مالا ، لا يطلب الناس منه المال ، والجاهل لا يأتي منه العلم، ذلك لأن فاقد الشيء لا يعطيه .
وبالتفكير رأينا العلامات ، والآيات في المخلوقات التي تعرفنا بصفات الخالق سبحانه ، وإذا عرفنا الصفات، عرفنا الموصوف .
فالذين يزعمون أن الطبيعة خلقتهم ، خالفوا العقل وحاربوا الحق ، لأن الكون يشهد أن خالقه حكيم ، عليم ، خبير ، هاد ، رزاق ، حافظ ، رحيم واحد أحد .
والطبيعة الصماء الجامدة لا تملك علما ، ولا حكمة ، ولا حياة ، ولا رحمة ، ولا إرادة ، فكيف ظن الجاهلون هذا الظن؟! وفاقد الشيء لا يعطيه .

- ما هي الطبيعة؟

الطبيعة هي هذه المخلوقات بما هي عليه من صفات، ولقد عبد الوثنيون أجزاء من الطبيعة مثل : الشمس ، والقمر ، والنجوم ، والنار ، والأحجار ، والإنسان ، ويتوهم الوثنيون الجدد (الطبيعيون) أن مجموع الأوثان السابقة (الطبيعية) هي التي خلقتهم ، مع أن الطبيعة لا تملك عقلاً ، ولهم عقول؟! ولا تملك علماً ، ولهم علم!!! ولا تملك خبرة ، ولهم خبرة!! ولا تملك إرادة ، ولهم إرادة!!! أما علموا أن فاقد الشيء لا يعطيه ، قال تعالى : **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِّثْلَ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ(73) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} (الحج: 73 ، 74).**

شبهة ورد

يزعم بعض الملاحدة بأن الطبيعة هي التي تخلق المخلوقات ، ويستدلون على ذلك بما يشاهد من تكون الدود على بقايا وفضلات بعض الحيوانات والإنسان!
ولقد تقدم العلم وكشف للناس أن هذا الدود الذي يتكون على الفضلات وغيرها قد جاء من بيض صغير لا تراه العيون ، وأمكن مشاهدتها بالمكبرات (المجاهر أو المايكروسكوبات) وسقطت شبهة الملاحدة في هذا الباب .
ولكنهم عادوا وقالوا : إذا كان الدود قد جاء من دود سابق عن طريق البيض الصغير الذي لم نراه ، فإن الجراثيم التي تعفن الأطعمة وتفسدها قد جاءت من الطبيعة ، ولم تولد من جراثيم سابقة ، ولكن هذه الشبهة أيضاً دحضت قبل أكثر من ثمانين عاماً عندما اكتشف الباحثون طريقة يحفظون بها الطعام دون أن يتعفن وذلك بعزل الطعام عن علب محكمة تقتل فيها الجراثيم بالحرارة ، أو الأشعة ، وتعزل عن الهواء حتى لا تأتي جراثيم عديدة عن طريق الهواء . وبهذا عرف الناس أن جميع المخلوقات تأتي من مخلوقات سابقة ، ولا تتولد من الطبيعة كما يزعم الجهلة من الملحدين .
وإن تعجب أيها المسلم فمن زعماء الإلحاد الذين يعرفون الحقائق منذ أكثر من ثمانين عاماً ، ولكنهم يصرون على نشر هذه الجهالات لترويح الإلحاد الذي لا يعيش إلا مع الجهل!!

الرد على ضلالات النصارى

عندما نجى الله عيسى - عليه الصلاة والسلام - من كيد أعدائه ، ورفعاه إلى السماء ، وقع باقي العلماء من النصارى تحت إرهاب الرومان ، فاختلف كثير منهم ، وقتل آخرون ، فشاع الجهل بين النصارى ، وضاع إنجيل عيسى ، فاستبدلوه بأنجيل من تأليفهم ، وكتب كل مؤلف اسمه على إنجيله الذي يختلف عن باقي الأنجيل وأصبح لديهم عدد من الأنجيل ، مثل : إنجيل متى ، إنجيل يوحنا ، إنجيل مرقس ، إنجيل لوقا ، إنجيل برنابا ، حتى بلغ عدد الأنجيل أكثر من سبعين إنجيلاً ثم اختاروا في مؤتمر نصراني أربعة من هذه الأنجيل ، وأحرقوا ما بقي ، وزعموا : أن الله ثالث ثلاثة

: وأن عيسى ابن الله .. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .. ثم قالوا بعد ذلك : إن الله واحد ، فأصبحوا يعتقدون بما لا يقبله العقل ، وهو أن الله واحد ، وأنه ثلاثة في نفس الوقت .

قال البوصيري :

جعلوا الثلاثة واحداً ولو اهتموا لم يجعلوا العدد الكثير قليلاً

ويزعموا : أن الله (أي عيسى) مات مصلوباً ، مع اعتقادهم أن الملائكة لا تموت ، وأن البشر (اليهود والرومان) هم الذين قتلوا عيسى . ويقررون في أنجيلهم أن بعض أتباع المسيح وجدوه حياً ، بعد حادثة الصلب والله يقول : { .. وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتَّبَاعُ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا(157)بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا } (النساء : 157،158).

وأما قولهم : أن عيسى لا أب له ، مما يدل - بزعمهم - على أن الله أباه ، فقد رد القرآن عليهم ، قال تعالى : { إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } (آل عمران : 59) ، وقد بين المولى سبحانه : أن عيسى بشر كان يأكل الطعام ، ومن أكل الطعام احتاج لقضاء الحاجة ، فكيف يكون رباً من تحكمه ضرورات الطعام ، والشراب ، وقضاء الحاجة؟ قال تعالى : { مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ } (المائدة: 75).

مجبب المضطر إذا دعاه

ويمكن لكل إنسان أيضاً ، أن يعرف ربه عن قرب وذلك عن طريق مشاهدة إجابة الله للدعاء ، فكم خرج المؤمنون يطلبون - بقلوب وجلة تانية - من ربهم أن يسقيهم الغيث ، فكان الجواب على الفور في كثير من الأحيان ، ويأتي الغيث إلى القرية أو المدينة التي خرجت تدعوا ربها ، والقرى والمدن التي بجوارها لا يأتيها شيء ، وكم رأى المضطرون تفريجاً لحالة الكرب بدعائهم ، قال تعالى : { أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أُنُلَّةً مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ } (النمل : 62) . وقال الشاعر :

فنفروا ثقّالهم مع الخفاف	وكم أصاب المسلمين من جفاف
فحققوا الفوز ونالوا المخرجا	وطلبوا من الإله الفرجا
أم أنه السميع كشاف المحن	فهل طبيعة أجابت أم وثن

موقف الكافرين من أدلة الإيمان

إن أدلة الإيمان بالله كثيرة ، وعددها كعدد مخلوقاته ، لأن كل مخلوق يدل على صفات خالقه ، لكن الكافرين لم ينتفعوا بهذه الأدلة ، لأن قلوبهم مريضة ، ليست صالحة لاستقبال الهدى ، كما هو حال القلوب المؤمنة - كما بينا سابقاً - فترى الكافر: معرضاً عن آيات الله ، ويجادل بالباطل ، قال تعالى : **{ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ }** (7) (الحج: 8).

وتراه يكابر في آيات الله ، قال تعالى : **{ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا }** (النمل: 14) وتراه يلبس الحق بالباطل ، قال تعالى : **{ وَلَا تَلْبِسُوا (8) الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ }** (البقرة: 42) . وتراه يصدون عن سبيل الله ، قال تعالى : **{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا }** (النساء : 167) .

- التقليد في الكفر :

ومن أهم سمات الكافرين : أنهم وهم يرفضون الإيمان بأدلتها الساطعة - يستبدلون به الكفر بدون دليل ، اللهم إلا التقليد الأعمى ، قال تعالى : **{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ هُمُ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ }** (المائدة: 104).

- افتراء الشبهات :

ومن أساليب الكافرين لصد المؤمنين : افتراء الشبهات ، التي قد تؤثر في من يجهل عقيدته ، ولم يتحصن ضد شبهات الملحدين . ومنها : أن الملاحدة اليوم يرددون ما قاله بنو إسرائيل لموسى ، كما حكاها القرآن : **{ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً }** (9) (البقرة: 55) مع أنهم يؤمنون بوجود العقول المفكرة وبوجود الهواء وبالجاذبية الأرضية التي تجذب كل شيء إلى الأرض ، وبأمواج الإذاعة تأتيهم من أماكن بعيدة ، وهم ما شاهدوا شيئاً من ذلك لكنهم رأوا آثار العقول قد ظهرت على سلوك العقلاء ، وأثار الهواء ظهرت بتحريك أغصان الأشجار وغيرها ، وآثار الجاذبية ظهرت بجذب الأشياء إلى الأرض ، وآثار الأمواج ظهرت أصواتاً في جهاز المذياع (الراديو) فأمنوا بالعقول والهواء ، والجاذبية ، والأمواج ، بعد أن شاهدوا آثارها ، فعندما عجزت الأبصار عن الرؤية ، لضعفها ، علمت العقول بوجود المؤثر من آثاره المشاهدة . ولو تخلى الكفار عن استكبارهم بأبصارهم الضعيفة ، العاجزة ، التي لا تستطيع أن ترى الهواء الذي يلامسها ، ولا ترى من في خارج المكان ، وتفكروا ، لوجدوا : أنهم وما في الكون ، من أرضه وسمانه ، ليسوا إلا آثاراً ، وآيات بينات تعرفهم بخالقهم سبحانه .

إن البصر الضعيف ، لا يستطيع أن يحيط برؤية النجوم ، وهي : (زينة السماء الدنيا) فكيف يستطيع أن يحيط بالذي على العرش استوى ، (وما السموات السبع بالنسبة لكرسيه ؛ إلا كسبعة دراهم في ترس⁽¹⁰⁾) ، وما الكرسي بالنسبة للعرش إلا كحلقة في صحراء⁽¹¹⁾ .

وإذا كان بصر الإنسان في هذه الدنيا لا يحتمل النظر إلى الشمس مباشرة ، فكيف يتحمل النظر إلى الله جل وعلا؟! **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ }** (الشورى: 11).

وقديماً طلب موسى عليه السلام رؤية ربه **{ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا }** (الأعراف : 143) .

والناس جميعاً بما فيهم الكفار يصدقون الأطباء ، والخبراء ، والأساتذة ، وهم يخبرونهم بأمور ما شاهدها أبصارهم ، ذلك لأن المخبرين أهل ثقة عند السامعين.

(7) - "بغير علم" : وهو الدليل العقلي الضروري "ولا هدى" : وهو الدليل العقلي الاستدلالي . "ولا كتاب منير" : وهو الدليل النقلي من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

(8) - "ولا تلبسوا" : لا تخلطوا .

(9) - "جهرة" : عياناً بالبصر .

(10) - الترس : الدرفة التي يتقي بها الفارس ضربة السيف . وقد استوى الله على العرش استواء يليق به من غير جلوس ولا استقرار .

(11) - أخرجه ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ والبيهقي في الأسماء والصفات ، قال الألباني : لا يصح في صفة الكرسي غير هذا الحديث .

ولو ترك الكافرون الاستكبار ، لعرفوا ربهم أيضاً ، عن طريق رسله الصادقين ، الذين قدموا من المعجزات ، والبيانات ما يجعلهم أوثق أهل الأرض، فيما يقولون عن ربهم .

اشتراط الإجابة :

وهناك من يشترط لإيمانه بالله ، أن يستجيب الله لما يقترحه من مقترحات ، كأن يقول أحدهم : إذا أراد الله أن يؤمن به؛ فعليه أن يفعل كذا ، وكذا .. وهذا شبيهه بقول الكافرين ، كما حكى عنهم القرآن : { وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (90) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (91) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا } (الإسراء: 90-92) .

ولو جعل الله الطريق إلى الإيمان , هو : أن يستجيب سبحانه لمقترحات الناس؛ لوجدنا من يشترط لإيمانه أن يجعل الله الليل نهاراً ، والشمس قمرأ ، والأرض سماء، والرجال نساءً ، ونجد غيره يشترط عكس ذلك؛ وثالثاً يشترط لإيمانه ، قتل فلان من الناس ، وموت فلان ، وهلاك البلدة الفلانية!! ورابعاً بعكسه!! وعندئذ تفسد الأرض ، والسماء ، قال تعالى : { وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ } (المؤمنون: 71) .

لقد أقام الله الدلائل الكافية في مخلوقاته ، وخلق لنا أسمعاً ، وأبصاراً ، وأفئدة نعرف بها تلك الدلائل ، وبهذا تقوم الحجة وتسقط الشبهات .

معرفة الله بأسمائه وصفاته

- أهمية معرفة الأسماء والصفات :

إذا قيل لك : إن فلاناً من الناس كريم ، وإن من صفاته أنه : يعطي من طلبه ؛ فأنت عندئذ ستطمع في عطائه ، وتقدره في نفسك، وتنتفع بمعرفتك لهذه الصفة عند حاجتك ، والعكس لو علمت أنه بخيل . وإذا قيل لك : إن الحكومة عادلة في أحكامها ، تهتم بمن يسكن داخل بلادها ، وتعاقب من يخالف نظامها ، فسترى الناس يسلكون داخل تلك الدولة بما يجعلهم ينتفعون بما تمنحه الدولة من خدمات ، وبما تتصف به من صفات العدل ، واحترام النظام ، وترى الناس يحبون تلك الحكومة بقدر ما تمتاز به من صفات الخير ، كما تراهم يحرصون على أن لا يعرضوا أنفسهم للعقاب والتأديب .

"ولله المثل الأعلى" . فمن يعرف صفات ربه سبحانه وأسماءه الحسنى تتسع دائرة معرفته بمن بيده ملكوت السماوات والأرض ، فترى سلوكه وسعيه متناسباً مع علمه بأسماء الله وصفاته ، أما الذين كفروا فيقول عنهم الله تعالى: { مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ } (12) (الحج: 74) .

ولقد حذر القرآن من تحريف أسماء الله ، فقال سبحانه: { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ (13) فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَمْعَلُونَ } (الأعراف: 180) . كما حذر القرآن من وصف الله بما لا يليق به سبحانه . فقال: { مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذِيبٌ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ } (المؤمنون : 91) .

الوحي الطريق الأمثل لمعرفة أسماء الله وصفاته :

إن علم الإنسان بمخلوقات الله محدود ، وهو لا يستطيع أن يحيط بالله علماً.

(12) - " ما قدروا الله " . ما عظموه حق تعظيمه ولا عرفوه حق معرفته . " عزيز " : غالب لكل شيء ولا يغلبه شيء.

(13) - " يلحدون " : يميلون بأسمائه إلى غير الصواب ، أو يسمون بأسمائه غيره.

فالسماوات السبع بالنسبة للكرسي كسبعة دراهم في ترس ، والكرسي بالنسبة للعرش ، كحلقة رميت في فلاة (صحراء) ، و { الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى }⁽¹⁴⁾ { طه : 5 } . وعلمنا لا يكاد يبلغ حدود النجوم التي هي زينة السماء الدنيا، لذلك لا نستطيع أن نحيط بالله علماً ، قال تعالى: { .. وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ } (البقرة : 255) . فلا نعرف الله حق معرفته ، إلا بتعليم منه - سبحانه - ، وقد جاءنا من الله البيان ، والعلم ، فعرفنا سبحانه بنفسه وبأسمائه ، وصفاته ، فنقف عندها ونمجده - سبحانه - بذكرها .

- تنزيه الله عن مشابهته للخلق :

وعندما يقال : الملك الفلاني كريم ، والبواب الذي معه كريم ، وطفله كريم ، فلا شك أن السامع سيفرق : بين الملك ، وبوابه ، وطفله ، وذلك بالرغم أن الجميع من بني آدم ، فإذا قيل لك : الله كريم ، فلا شك أنك ستعلم أن كرم المولى - جل وعلا - لا يشابهه شيء من كرم عباده ، المملوكين الضعفاء .

وهكذا في كل صفة من صفاته سبحانه ، فعلمه ليس كعلم عباده ، وحكمته ليست كحكمة المخلوقين ، ورحمته بالمؤمنين ، وانتقامه من الكافرين ليس كرحمة وانتقام عباده المخلوقين . كل ذلك وغيره له فيه الكمال الأعلى ، ولا يشبهه فيه أحد ، قال تعالى : { .. لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } (الشورى : 11) فالنقص يلحق غيره وله الكمال الذي يليق به وحده .

- الإيمان بأسماء الله وصفاته - كما جاءت في الكتاب والسنة

ومن فضل الله علينا أنه سبحانه بعلمه وحكمته ، قد عرفنا بنفسه في كتابه ، وسنة نبيه ، فعرفنا أنه : له الأسماء الحسنى ، وصفات الكمال العليا ، ولا يمكن لأحد أن يصف الله بأحسن وأفضل مما وصف الله به نفسه ، كما أنه لا يمكن لأحد من المؤمنين أن ينتقص من صفات الله التي وصف نفسه بها سبحانه .

- استحالة إدراك الذات¹⁶ :

بالأدلة العقلية والنقلية نعرف أن نعرف أن الله غير مخلوقاته ، فلا بد أن تكون صفاته مختلفة عن صفات مخلوقاته ، فكل المخلوقات ناقصة الصفات ، وهو سبحانه ، صاحب الكمال .

ولقد جاءنا منه الوصف والبيان ، فنؤمن به كما وصف نفسه في كتابه العزيز وكما جاء في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم دون سؤال عن حقيقة الذات ، قال تعالى : { .. لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } (الشورى: 11) ، فهو سميع ، وهو بصير ولكن سمعه ليس كسمع مخلوقاته ، وبصره ليس كبصر مخلوقاته ، ولا نستطيع الإحاطة به ، وهو الكبير المتعال .

(14) - "استوى : استواء يليق بجلاله وعظمته تعالى من غير ملامسة ولا جلوس .

(15) - " لا يؤوده " : لا يثقله ولا يشق عليه.

(16) - جاءت امرأة إنجليزية أسلم زوجها ، على يد الشيخ عبدالله الحكيمي ، تجادل الشيخ ، فقالت : إنها لا تؤمن بالله ، إلا إذا رأت الله - أستغفر الله - بطوله ، وعرضه ، فقال الشيخ الحكيمي ، وهل تحبين زوجك هذا؟ قالت : نعم . قال : أنا لا أصدق . قالت : ولماذا؟ قال : لا أصدق أنك تحبين زوجك إلا إذا رأيت : كيف هذا الحب؟ وكما رطلًا يزن؟ وما لونه؟ وما طوله؟ وما عرضه؟ قالت : إن الحب موجود ، ولكننا لا نستطيع أن نعرف كيفيته . قال : - والله المثل الأعلى - فنحن نؤمن به وهو أعلى من أن نحيط به علماً . وكما من الأمور نؤمن بها ولا ندرك كيفيتها ، فهذا النوم يأتي ولا ندري كيف هو؟ أو كيف يحدث؟ وكذلك اليقظة والفرح والسرور ، بل وأغلب الناس لا يعرفون كيف الكهرباء؟ وهم بها مؤمنون ، وهكذا في كثير من الأمور .

- العقل والتصور :

ولقد خلق الله للإنسان عقلاً يعقل به الحقائق ، ويعرف به الحق من الباطل ، والضار من النافع ، وجعله عماد التكليف ، فمن فقد عقله رفع عنه القلم ، وجعل الله للعقل طاقات واسعة .

وخلق الله للإنسان قوة يتصور بها الأشياء ، تعينه على تنظيم الأمور وتخيلها ، ولكن قوة التصور ضعيفة ، ومحدودة ، فإذا وصفت لك مدينة ، عقلت أن فيها أشياء ، وتصورت تلك الأشياء ، ولكنك إذا رأيت تلك المدينة ستجد أنها على غير الصورة التي تصورتها من قبل .
وإذا طرق شخص الباب استطعت أن تعقل أن طارقاً يطرق الباب ، ولكن تصورك يعجز أن يتصور ؛ من الطارق حقيقة؟ وما طوله؟ وما عرضه؟ وما لونه؟ وما حجمه؟ .. فقوة العقل اخترقت حاجز الباب ، فعقلت أن طارقاً موجود يطرق الباب فقط ، بينما عجزت قوة التصور ، وحبسها حاجز الباب أن تنفذ .

"ولله المثل الأعلى " . فالعقل يؤمن بالله ، وقوة التصور تعجز عن إدراك الله سبحانه : { .. لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } (الشورى: 11) .

الأسماء الحسنى

لله الأسماء الحسنى ، وله تسعة وتسعون اسماً ، من أحصاها دخل الجنة ، وله أسماء أخرى غيرها ، كما جاء في الحديث .
قال تعالى : { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا } (الأعراف: 180) . ومن الأسماء الحسنى :
"الواحد ، الأحد الصمد¹⁷ ، القيوم¹⁸ ، الخالق ، المصور ، الرحمن ، الرحيم ، اللطيف ، الرزاق ، الواسع¹⁹ ، العظيم ، العزيز²⁰ ، الحكيم ، العليم ، الحافظ ، الهادي ، المحيي ، المميت ، الوارث²¹ .

شهادة أن محمداً رسول الله

- الأدلة البينة على صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم :
يؤكد الله رسله بالبينات الدالة على صدق رسالتهم حتى لا يكذبهم الناس ، قال تعالى : { لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ }²² ، ولقد أيد الله محمداً صلى الله عليه وسلم ببينات واضحة وأدلة قاطعة معجزة منها :

- البينة (المعجزة) القرآنية :

لقد جعل الله معجزة محمد صلى الله عليه وسلم دائمة لتقنع الناس جميعاً إلى يوم القيامة ، وجعل القرآن الكريم أقوى المعجزات ، وحفظه سبحانه من التحريف ، قال تعالى : { أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنْ الْأَحْزَابِ فَأَتَنَارُ مَوْعِدُهُ }²³ (هود: 17) .

(17) - الصمد : الغني الذي يقصد في الحوائج ولا يحتاج إلى أحد ولا إلى جهة ولا مكان .

(18) - القيوم : القائم بنفسه والمقيم لغيره .

(19) - الواسع : الذي عمت رحمته ووسع علمه كل شيء .

(20) - العزيز : الغالب الذي لا يذل .

(21) - الوارث : الباقي بعد فناء الموجودات .

(22) - بالبينات : بالمعجزات .

ولهذه البيئة القرآنية أوجه توضح إعجاز القرآن نذكر منها:

- فصاحة القرآن وعظمته الدائمة :

القرآن مكون من أحرف الهجاء (أ ، ب ، ت ، ث) وكلام الناس مكون من نفس الأحرف ، لكن فصاحة القرآن أعجزة الإنس والجن ، على أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه ، فأنت إذا سمعت خطبة فصيحة ، أو قصيدة بليغة ، أعجبتك ، سرعان ما تصبح هذه الخطبة أو القصيدة بالية في سمعك إذا كررت عليك لأنه ما من كلام بشر إلا وهو يبلى إذا كرر .

ولكن ، كم يقرأ المسلمون الفاتحة ، والصور القصار؟ وكم يختم الدارس للقرآن كتاب الله ، ويعيده ، فما أحس قارئ للقرآن أن الفاتحة أو أي سورة قد أصبحت بالية ، فعلى أي شيء يدل هذا؟ لا شك أن هذه الظاهرة تشهد لكل عاقل أن القرآن كلام الله ، الذي لا يبلى .

ولقد تحدى القرآن من ارتاب في صدقه أن يأتي بسورة من مثله ، قال الله تعالى : **{وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ²⁴ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(23)}** فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا نَارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} (البقرة: 23، 24) .

- إخبار القرآن بالغيب :

الغيب لا يعلمه إلا الله ، ولقد أخبر القرآن بغيوب كثيرة ، فكان هذا دليلاً على أن القرآن من عند الله ، وأن محمداً الذي بلغ القرآن للناس رسول الله ومن هذه الأخبار الغيبية :

1 - عندما انتصر الفرس وهم عباد أوثان على الروم وهم أهل كتاب في فلسطين فرح المشركون في مكة، وتوعدوا المسلمين بمصير كمصير الروم ، فساء ذلك المؤمنين فأنزل الله قوله : **{الم(1) غَلِبَتِ الرُّومُ(2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ(3) فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ(4) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ(5) وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}** (الروم: 1-6).

وعندما نزلت هذه الآيات ردها المسلمون ، وتهكم بما وعدت به الكافرون، وتصدى كافر لأبي بكر رضي الله عنه يراهنه على أن الفرس ، لن تنهزم في المدة التي حددتها الآيات بكلمة (بضع سنين) ، وهي مدة تمتد من ثلاث سنوات ، إلى عشر ولا تزيد ، فقبل أبو بكر الصديق الرهان قبل تحريم الرهان، وسمح الرسول صلى الله عليه وسلم بمضي الرهان ، ووقف الكافرون مع الكافر الذي دخل الرهان ، كما وقف المسلمون ينتظرون تحقيق وعد الله، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : (فإن البضع ما بين الثلاث إلى التسع)²⁵ ، ووضعت النبوة أمام امتحان ، فقد جاء الخبر الإلهي بانتصار الروم المهزومين ، وليس هناك من الدلائل ما يدل على أنهم ينتصرون ، وحدد الموعد بأقل من عشر سنين، وكان الخبر بصيغة لا تقبل التأويل **{ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}** (الروم : 6) ، والكفار جميعاً يعظمون أن محمداً من أعقل الناس، ولا يمكن أن يورط نفسه في مثل هذا الامتحان ، لو لم يكن في غاية الثقة من ربه وتصديقه له .

(23) - { أفمن كان على بينة من ربه } : هو النبي صلى الله عليه وسلم والبيئة : هي القرآن من ربه تعالى .

"الأحزاب" : جميع الكفار على اختلافهم في الملل والنحل .

(24) - "شهداءكم" : وهم ألتهتهم التي يعبدونها من دون الله .

(25) - رواه الترمذي والطبراني .

لذلك ما مرت سبع سنوات حتى تحقق وعد الله ، وفرح المؤمنون ، وظهر صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فآمن جمع من الناس ، ودخلوا في دين الله .

2 - لقد كانت المحاولات كثيرة جداً ، لاغتياله صلى الله عليه وسلم من المشركين ، ومن اليهود ، عن طريق الحرب ، وعن طريق المؤامرة ، ومع ذلك فقد نزل قرآن ، يعد رسول الله بأن أعداءه لن يصلوا إليه ، قال تعالى : **{وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ}** (الإسراء: 60) وقال سبحانه : **{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}** (المائدة: 67) وبعد نزول هذه الآية ، أمر الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابة الذين كانوا يحرسونه ، فقال : (يا أيها الناس انصرفوا عنا فقد عصمنا الله عز وجل)²⁶ .

ولقد كثرت المؤامرات ، ولكن الله سبحانه أحبطها ، تحقيقاً لوعده ، ولقد استشهد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة من الخلفاء ، الأربعة الراشدين والإسلام قوي ، والكفر مندحر ، وأسباب الأمن متوفرة للخلفاء ولم تكن متوفرة في عهد الرسول ، لكن الدفاع الإلهي ، هو الذي نجى رسوله الذي وثق بوعده ربه ، فمضى في دعوته ، وصرف حرسه ، فصدق الله ما وعده .

3 - لقد كان الرسل يتعاقبون على الأرض ، ولكن منذ أن ظهر رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم انقطع الرسل ، وذلك تصديقاً لقول الله سبحانه : **{مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا}** (الأحزاب : 40) . فهذا خبر غيبي صدقته القرون التي جاءت بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم تشهد بأنه لا نبي آخر بعد خاتم الأنبياء .

- الإعجاز العلمي الحديث للقرآن :

قال تعالى : **{ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }** (فصلت : 53) .
لقد تحقق الوعد من ربنا في هذا الزمان ، فرأى الكافرون الذين لم يتبينوا الحق آيات الله في آفاق المخلوقات ، وما رأوا تلك الآيات والأسرار إلا بأدق الأجهزة والوسائل كالطائرات والغواصات ، والتي لم يملكها الإنسان إلا في هذا الزمان ، فكان لهم في ذلك بينة بأن الله هو الذي أخبر محمداً صلى الله عليه وسلم عن هذه الأسرار في الخلق ، يوم لا أجهزة بحث علمي ، ولا طائرات ، ولا غواصات ، فكان هذا لوناً جديداً من إعجاز القرآن ، يبين للكافرين اليوم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق هذا الدين ، ومن أمثلة ذلك :

1- ما كان أحد يظن أن أصل السماء ونجومها ، وكواكبها هو الدخان ، حتى تقدمت أجهزة البحث العلمي ، وشاهد الباحثون بقايا الدخان ، لا تزال تتكون منه النجوم إلى يومنا هذا ، والله يقول : **{ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ }** (فصلت: 11) .

2- وكشف الباحثون الآن : أن نجوم السماء لا تزال تخلق ، وأن مدن النجوم يتباعد بعضها عن بعض ، وبهذا عرف أن السماء لا تزال تتسع ، قال تعالى : **{وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ²⁷ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ}** (الذاريات : 47) .

3- وكشف الباحثون أخيراً : أن القمر كان مشتعلاً ثم انطفأ ، ومحي ضوؤه ، وأن النور الذي يخرج منه في الليل ليس إلا انعكاساً من سراج آخر ، هو الشمس ، والله يقول : **{ .. فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً }** (الإسراء : 12) ، قال المفسرون : (آية الليل القمر وآية النهار الشمس) ، وقال ابن عباس رضي الله عنه : (كان القمر يضيء كالشمس) . وقال المفسرون : **{فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ}** أي طمسنا ضوءها . ثم ذكر القرآن القمر وسراجها ، فقال تعالى : **{ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا }** (الفرقان : 60) انظر : قال الله : **{ سِرَاجًا }** ، ولو كان القمر يضيء ، لقال الرحمن : (سراجين) ولم يقل: سراجاً .

(26) - رواه ابن أبي حاتم وابن جرير والترمذي والحاكم وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(27) - " بأيدٍ " : بقوة .

- 4- وكان الناس يظنون : أن من صعد في السماء تنفس الهواء العليل ، فلما صنع الإنسان الطائرات الحديثة وصعد في السماء ، وجد : أن من صعد في السماء؛ يضيق صدره ، ويبلغ أشد درجات الضيق بسبب أن الهواء ينقص كلما صعد الإنسان في السماء ، والله يقول { **فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ** } (الأنعام: 125) .
- 5- وما كان أحد يتصور أن الجبال تخرق الأرض ، كالأوتاد ، حتى اكتشف الدارسون ، أن تحت الطبقة الأرضية الصلبة ، التي نعيش عليها ، طبقة لينة لزجة تحتها ، وأن تحت كل جبل ، جذراً يغوص في هذه الطبقة اللينة ، فيمسك الأرض الصلبة ، التي نعيش عليها ، من أن تضطرب من تحتنا ، بسبب لين ما تحتها ، والله يقول : { **وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا** } (النبا : 7). ويقول : { **وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ** } .
- 6- واكتشف الدارسون : أن الماء إذا نزل أخرج النبات ، وأن النبات يخرج مادة خضراء اللون ، هي التي تصنع فيها الحبوب والثمار ، ومن هذه المادة الخضراء تخرج الحبوب ، والثمار ، والله يقول : { **وهو الذي أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً** } (28) (الأنعام : 99) .
- 7- واكتشف الباحثون أن في النباتات جميعاً زوجية (ذكر وأنثى) وما كان أحد يعلم ذلك من قبل . والله يقول : { **سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ النَّازِجَاتِ كُلَّهَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ** } (يس: 36) .
- 8- واكتشف الأطباء أن الأعصاب التي تتألم بحريق النار وشدة البرد توجد في الجلد فقط ، كما تتركز باقي أعصاب الإحساس في الجلد مما يجعل الإنسان يتألم عند دخول إبرة الطبيب في منطقة الجلد ، فإذا غارت في اللحم تلاشى الألم ، وقد بين القرآن أن الألم بالحرق يكون في الجلد ، في قوله تعالى : { **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ²⁹ جُلُودُهُمْ بِدَلِّئَانِهَا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا** } (النساء: 56) .
- 9- واكتشف الدارسون أن اللبن في الأنعام يستخلص من بين الفرث في الأمعاء الدقيقة ، فتبقى الفضلات التي تخرج في صورة بعر ، وغيره ، بعد أن كانت كلها فرثاً سائلاً ، ثم تدخل المواد الغذائية في الدم ، ثم يستخلص اللبن من الدم في الضروع ، والله يقول : { **وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ³⁰ لَبِناً خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ** } (النحل : 66) .
- 10- ما كانت البشرية تعرف أن في البحر موجاً داخلياً غير الموج السطحي ، وما كان الناس يعلمون أن في أعماق البحار ظلمات ، فجعل الله للأسماك سرجاً تنير لها في تلك الظلمات ، وما كان أحد يعلم أن الموج بسطحه المائل يشتت الضوء الذي يسقط عليه من أعلى فيكون بذلك ظلمة كما تفعل السحاب في منع بعض الأشعة ، من النفاذ إلى أسفل ، لكن كل هذه الأسرار قد ذكرها الله في آية واحدة، قال تعالى : { **أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ رَأَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ** } ³¹ (النور : 40) .
- هذه الأسرار وغيره في أعماق السماء ، وأعماق الماء ، وباطن الأرض ، وبطون الأنعام ، وجوف النبات ، وفي تركيب الإنسان ، ما عرفها الإنسان إلا في هذا الزمان ، بعد أن صنع أدق الآلات ، التي تمكن بها من معرفة هذه الأسرار.

(28) - "خضراً" : مادة خضراء . "متراكباً" : متراكماً كسنايل الحنطة .

(29) - "نضجت" : اجترنت وتهرأت .

(30) - " من بين فرث ودم" : لقد تصفى اللبن مرتين ، مرة من الفرث ثم صار دماً ، ومرة من الدم ثم صار لبناً خالصاً .

(31) - "لجي" : أي عميق كثير الماء . "يغشاه موج" : يعلوه ويغطيه .

فمن كشف لمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ألف وأربعمائة عام ، يوم لا طائرات ، ولا غواصات ، ولا مخترعات علمية؟! إن هذا كله يشهد لكل عاقل ، في أمريكا أو روسيا ، في الهند أو الصين ، في أوروبا أو استراليا ، أن هذا القرآن نزل بعلم الله ، قال تعالى : { قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } (الفرقان : 6) كما يشهد لكل عاقل ، أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم.

علامات الساعة

قال تعالى : { عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا(26)إِنَّمَا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ } (الجن: 26، 27) . وإخبار محمد صلى الله عليه وسلم بغيب علامات الساعة ، التي لم تظهر أماراتها إلا في زماننا ، يشهد له بصدق الرسالة ، كما يشهد بأن الساعة حق ، وأنها قد أصبحت قريبة .
- ومن العلامات التي ظهرت ما يلي :

1 - أمور عظيمة لم تخطر على بال أحد من قبل :

هذه العجائب ، والأمور العظام ، التي حدثت في المخترعات ، وفي عالم السياسة ، والأنظمة ، والعلوم ، وهذه الأحداث العالمية ، التي ما كانت تخطر على بال أحد ، سواء في أحوال المسلمين ، أو الكافرين ، يصدق عليها وصف: الأمور العظيمة ، التي لم تخطر على بال أحد من السابقين ، وقد أخبرنا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تقوم الساعة حتى تروا أموراً عظيماً لم تكونوا ترونها ولا تحدثون بها أنفسكم)³² .

2 - الحفاة العراة رعاة الغنم وتناولهم في البناء :

إن الحافي الذي لا يملك حذاء ، العاري الذي لا يجد ثوباً يستر كل جسمه ، العالة في طعامه على غيره ، الذي لا يجيد من العمل غير رعي الغنم ، إن الذي يتصف بكل هذا لا يتصور أحد من الناس من قبل ، أنه سيتمكن من بناء أي بيت ، فضلاً على أن يجعل ذلك البيت من البيوت الطويلة ، ويطاول غيره في البناء ، وفضلاً عن أن يكون ذلك ظاهرة لا تحدث لشخص واحد ، بل تحدث لجماعات كثيرة من رعاة الغنم الحفاة ، العراة ، العالة ، فهذا أمر ما كان يخطر ببال أحد ، لكن الأمر وقع ، فبعد أن فتح الله على المسلمين وغيرهم من ثروات الأرض ، وخاصة البترول ، رأينا رعاة الغنم الحفاة ، العراة ، العالة ، يتناولون في البنيان ، كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن هذه من علامات الساعة ، فقال : (إذا رأيت الحفاة ، العراة ، العالة ، رعاء الشاء يتناولون في البنيان فانتظر الساعة)³³ .

3 - ظهور الكاسيات العاريات المائلات المميلات رؤوسهن كأسنمة الجمل:

كان هناك بعض الصعوبة في فهم حالة النساء اللاني وصفهن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهن سيخرجن في آخر هذه الأمة ، وأنهن كاسيات عاريات ، وقد يختار الإنسان ، كيف تكون المرأة كاسية ، وعارية في آن واحد حتى رأينا ذلك في زماننا ، فللمرأة كساء ، ولكنه شفاف يصف الجسم ، ويظهره (أولها الملابس الكثيرة ، ولكنها تفصلها قصيرة) أو تكون لابسة كاسية في بعض الأماكن ، متعريّة في أماكن أخرى . وهن أيضاً مائلات مميلات ، وقد اكتمل الميل عن الطريق المستقيم ، والتمايل بالأجساد ، حتى وضعوا لهن في أحذيتهم كعوباً عالية ، لاستكمال الميل في الأجسام ، وهن بهذا الميل مميلات لكثير من الشباب مضلات لهم بفتنتهن المعروضة .

ورؤوسهن كأسنمة البخت المائلة : أي كأسنمة الجمال المائلة . وهذا ما نشاهده في زماننا ، مصداقاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كشف الله له هذا الغيب ، قبل ألف وأربعمائة عام ، فقال عليه وعلى آله الصلاة والسلام: (صنفان من أمتي من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط

(32) - أخرجه أحمد والطبراني (فتح الباري) المجلد الثالث - كتاب الفتن - باب خروج النار.

(33) - رواه البخار ومسلم .

كأذناب البقر يضربون بها الناس³⁴، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلون الجنة، ولا يجدون ريحها³⁵ .

4 - نطق الجمد :

قال عليه وعلى آله الصلاة والسلام : (إنها أمارات من أمارات بين يدي الساعة ، أوشك الرجل أن يخرج ، فلا يرجع، حتى يحدثه نعله ، وسوطه ، ما أحدث أهله من بعده)³⁶ .

النعل جمد ، والسوط جمد ، وما كان أحد يتصور أن الجمد سينطق ، وقد نطق الجمد فعلاً ، وأما كيف يحدث نعل، أو السوط الرجل عما أحدث أهل بيته بعده؟ فقد اخترعت الآن أجهزة يحملها الإنسان في يده ، فتنتقل له الأصوات ، والكلام من بيته ، أو من بيت غيره ، (وما بقي إلا أن تشكل في شكل سوط ، ليسهل حملها ، أو تصنع في الحذاء فلا ترى) ويمكن تركيبها في طرف العصا أو في مكان ما من الحذاء بحيث لا ترى .

5 - قبض العلم ، وكثرة الزلازل ، وتقارب الزمان ، وظهور الفتن ، وإطالة البناء :

قبض العلم هو موت العلماء وعدم وجود من يخلفهم ، والمقصود بهم علماء الإسلام ، وقد دل الحديث على ذلك، وكثرة الزلازل هو ما نشاهده ، ونسمعه في هذه الأيام من الزلازل المدمرة .

وتقارب الزمان ؛ أي أن الأيام تمر ، وكأنها ساعات قليلة ، وسبب ذلك كثرة الأحداث التي تجعل الإحساس بالزمن يقل (والله أعلم) فإذا كنت مشغولاً في عمل مرت الساعة وكأنها لحظات، أما إذا كنت فارغاً فتحس بطول الزمان ، وزماننا هذا أيامه مملوءة بالأعمال ، مما يجعلها تمر بسرعة، وظهور الفتن، أي كثرة الفتن، التي تفتن الإنسان عن دينه ، والإعلان بها .

وأما إطالة البناء فما عليك إلا أن تقارن بين المنازل قبل خمسين عاماً والمنازل في أيامنا هذه ، وكيف استطالت ، وهذا كله قد أخبرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : (لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم ، وتكثر الزلازل ، ويتقارب الزمان ، وتظهر الفتن ، وحتى يتناول الناس في البنيان)³⁷ .

6 - تسليم الخاصة ، وفشو التجارة وقطع الأرحام وكثرة القراءة وشهادة الزور :

تسليم الخاصة : هو أن يخص الإنسان بالسلام من يريد ، وفشو التجارة انتشارها ، وفشو القلم أي كثرة استخدام القلم ، وهو دليل على كثرة القراءة والكتابة ، وهذا كله جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل : (إن بين يدي الساعة تسليم الخاصة وفشو التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام ، وفشو القلم ، وظهور الشهادة بالزور ، وكتمان شهادة الحق)³⁸ .

7 - كثرة الزنا وشرب الخمر :

قال عليه وعلى آله الصلاة والسلام : (إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ، ويكثر الجهل ، ويكثر الزنا ، ويكثر شرب الخمر)³⁹ ، وكثرة الجهل ، أي الجهل بالدين.

8 - انتشار التعامل بالربا :

قال عليه وعلى آله الصلاة والسلام : (ليأتين على الناس زمان لا يبقى منهم أحد إلا أكل الربا ، فمن لم يأكله أصابه من غباره)⁴⁰ .

(34) - الذين يعتدون ظلماً على الناس فيضربونهم بالسياط .

(35) - رواه أحمد ومسلم .

(36) - روى الحديث أحمد في مسنده ورواه الترمذي والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، ورواه أبو نعيم في الحلية.

(37) - رواه البخاري .

(38) - رواه البخاري .

(39) - رواه البخاري ومسلم .

وقد انتشر التعامل بالربا في زماننا عن طريق البنوك وغيرها ، وإن كنا نرى ظهور بنوك إسلامية لا تتعامل بالربا، نسأل الله أن يكثر من هذه البنوك الإسلامية.

8 - التحية بالتلاعن وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال:

يأمر الإسلام بالتحية الحسنة ، والرد الأحسن ، وهكذا كان المسلمون ، حتى ظهر في زماننا من يحيي غيره باللعن ، قال عليه وعلى آله الصلاة والسلام: (لا تزال الأمة على شريعة حسنة ما لم تظهر فيهم ثلاث : ما لم يقبض منهم العلم، ويكثر فيهم ولد الخبث ، ويظهر فيهم السقارون) قالوا: وما السقارون؟ قال : (نشء يكونون في آخر الزمان تكون تحيتهم بينهم إذا تلاقوا التلاعن)⁴¹ .

وما كان أحد يتصور أن الرجل سيتشبه بالمرأة ، والعكس ، حتى فاجأنا الزمان بهذه المصيبة ، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبرنا عن هذا، وكشف الله له ما سيقع ، فقال عليه وعلى آله الصلاة والسلام : (من علامات اقتراب الساعة تشبه الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال)⁴² .

9 - طائفة على الحق ظاهرين:

ومهما كثر الفساد ، قد شاعت حكمة الله سبحانه، أن تبقى طائفة على الحق ظاهرة ، تقيم الحجة على الناس بالدعوة إلى دين الله ، وتتمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهذا ما نشاهده ، فلا يخلو مكان إلا وفيه من يظهر دين الله ، ويتمسك بكتاب الله ، وسنة رسوله . وفي هؤلاء ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من يخذلهم حتى يأتي أمر الله)⁴³ . وبعد : فهذا قليل من كثير ، مما أخبر به رسول ربنا صلى الله عليه وسلم قبل ألف وأربعمائة عام ، يشهد بصدق نبوته ، وبأنه نذير لنا وبشير لنا بين يدي عذاب شديد ، فكما رأينا علامات الساعة اليوم فسنرى الساعة غداً ، لأن المخبر بها واحد، وهو الصادق المصدق ، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

بيئة تغير نظام الخلق - من القرآن الكريم :

لقد خلق الله الكون على نظام ثابت ، ولكن الله يخرق هذا النظام تأييداً لرسوله، وتصديقاً لهم . ومن أمثلة ذلك : ما حدث لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وهي بينات كثيرة أقنعت الكثير من الناس ، بصدق رسالته ونبوته، ومنها:

1- انشقاق القمر :

نظام الخلقة الثابت هو أن القمر جسم واحد ، ولا يقدر على شقه نصفين أحد إلا الله ، ولكن الكفار لما كذبوا محمد صلى الله عليه وسلم ، وطالبوه بآية تصدقه شق الله له القمر نصفين ، فقال عليه وعلى آله الصلاة والسلام : (اشهدوا) ، قال الكافرون: سحرنا محمد ، ولم يكذبوا الآية التي شاهدوها فأنزل الله قوله : { اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (1) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ } (القمر: 1، 2)⁴⁴ .

2 - الإسراء والمعراج :

-
- (40) - رواه أبو داود وابن ماجه .
(41) - رواه أحمد والحاكم والطبراني .
(42) - رواه أبو نعيم في الحلية وغيره .
(43) - رواه مسلم والترمذي وأبو داود .
(44) - روى الحديث أحمد ، ومسلم ، واللفظ للطبري .

شاء الله أن يرفع رسوله إلى سدره المنتهى ، فوق السماء السابعة ، فلم يعرج به من مكة ، بل أسري به منها ليلاً ، إلى بيت المقدس ، ثم عرج به من بيت المقدس.

وقد كان في إسرائه الدليل للكفار على صدقه ، لأنهم كذبوا الرسول ، ثم امتحنوا صدقه ، فسألوه عن وصف بيت المقدس ، وهم يعلمون أنه لم يره من قبل ، فوصفه حجراً حجراً ، فسألوه عن قافلة لهم في الطريق ، فحدد مكانها ، وعدد رجالها ، ومن أي القبائل هم ، ووصف الإبل ، وذكر وصف الجمل الذي يتقدم القافلة ، وما يحمل ، بل وحدد الزمن الذي تصل فيه القافلة ، فوصلت في الموعد الذي حدده ، فكان في ذلك كله دليلاً على إسرائه ، وكان الإسراء دليلاً على المعراج في السماء ، وذكر القرآن الإسراء ، فقال سبحانه : { سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ } (الإسراء: 1) ، وقال سبحانه عن المعراج : { أَفْتَمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (12) وَلَقَدْ رَأَوْهُ نَزْلَةً أُخْرَى (13) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (14) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (15) إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى (16) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (17) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى } (النجم: 12-18) ، وكانت الجنة والنار من آيات الله التي رآها عليه وعلى آله الصلاة والسلام . إن الإسراء والمعراج خرق للعادة ، وقد جعله الله تصديقاً لرسوله .

3 - الرياح والجنود التي لا ترى تقاتل مع الرسول وصحبه:

لقد كان المسلمون في جانب في الخندق الذي حفره حول المدينة لمنع المشركين من الوصول إليها ، وكان الكفار في الجهة الأخرى من الخندق ، فإذا برياح شديدة وجنود لا ترى ، تطفئ نار الكافرين وتكفي قدورهم ، وتهدم بناءهم ، وتقتلع خيامهم ، وتشرد خيلهم وجمالهم ، وإذا بالمشركين الذين جاءوا من أماكن بعيدة ، وحاصروا المسلمين ليالي طويلة ، يطردون رغم أنوفهم ، ويعودون خائبين ، وأصبح المسلمون يرددون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : (الحمد لله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده) .. وفي ذلك نزل قول الله سبحانه وتعالى في سورة الأحزاب : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا } (الأحزاب : 9).

4 - النعاس والمطر والملائكة تنزل لتأييد المسلمين :

توجه المسلمون لقتال المشركين في بدر ، وهم خائفون لقتلتهم ، وضعفهم ، فأنزل الله النعاس أماناً لهم ، واحتلم بعضهم ، فأخذ الشيطان يوسوس لهم ، ويخوفهم من الموت ، وهم جنب ، ليردهم عن المعركة ، فأنزل الله ماء ليغتسلوا به ، وليثبت الرمال به تحت أقدامهم عند سيرهم إلى المعركة ، ثم نزلت الملائكة عند اللقاء بين الجيشين فهزم الكفار هزيمة نكراء في أول معركة بين الكفار والمسلمين.. وفي ذلك نزل قوله تعالى : { إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (11) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَالِقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ } (الأنفال : 11 ، 12) .

(45) - "أفتمارونه" : أي تجادلونه : "راه" أي رأى جبريل على صورته عند سدره المنتهى التي تنتهي إليها علوم الخلاق ، وهي في السماء السابعة عن يمين العرش . "جنة المأوى" : هي التي تأوي إليها الملائكة وأرواح الشهداء والمتقين . "يغشى السدره" " يغطيها ويسترها . "ما زاغ البصر" : أي ما أمر برويته . "آيات ربه الكبرى" : أي الآيات العظام ، منها : أنه رأى جبريل على صورته وله ستمائة جناح . ورأى الجنة والنار . ورأى الملائكة على اختلافهم في خلقهم وفي عبادتهم ، فمنهم الساجد ، ومنهم الراكع ، ومنهم القائم ، يسبحون بحمد ربهم لا يتعبون ولا يفترون .

(46) - "يغشيكم" : أي جعله غاشياً عليكم كالغطاء . "أمنة" : أماناً من الله وتقوية لكم . "رجز الشيطان" : أي وسوسته وتخويفه إياكم . "وليربط" : يشد على قلوبكم ويقويها باليقين . "الرعب" : الخوف والفزع والانهراج . "كل بنان" : كل الأطراف أو كل مفصل .

5 - جنود الله تنصر محمداً على الكافرين أثناء الهجرة :

قررت قريش قتل محمد صلى الله عليه وسلم فأحاط شبابها بداره ، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من بينهم وقد أغشى الله أبصارهم واختفى في غار حراء وصاحبه أبا بكر الصديق رضي الله عنه يخشى أن ينظر الكفار الذين يطاردونهم إلى داخل الغار فيكتشفونها ولكن جنود الله صرقتهم عن النظر إلى داخل الغار .

وطارد الفارس المدرب سراقبة بن مالك الرسول وصاحبه بعد خروجهما من الغار ، فلما قرب منهما ساخت قوائم فرسه في الرمال ، حتى لامست بطن الفرس الأرض ، وسقط من فوق فرسه ، فأخذ سراقبة يطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمان ، وإلى هذا تشير الآية : { **إِنَّا نَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** } ⁴⁷ (التوبة : 40) .

سؤال وجواب :

قد يسأل سائل فيقول : وكيف أجعل إيماني بوقوع هذه الخوارق كإيمان من شاهدها؟ والجواب: بالتفكير في الأمر، واستخدام العقل نصل إلى هذا الإيمان ، فمثلاً خارقة الرياح والجنود التي لم تر ، وخارقة انشقاق القمر ، وغيرهما من الخوارق ، لقد وقعت هذه الخوارق أمام منات وآلاف المسلمين والمشركون، ثم نزل قرآن سجل هذا الذي وقع ، وسمعه المسلمون وسمعه الكافرون ، فصدق المسلمون ما ذكره القرآن من وقوع تلك الخوارق أمامهم ، فثبتوا على إيمانهم، وعبادتهم ، وجهادهم ، وصدق المشركون بما حدث ، فلم يكذبوه، بل فسروا الانشقاق وباقي الخوارق بأنه سحر مستمر ، ثم تحولوا بعد ذلك إلى الإيمان والإسلام ، وأصبحوا هم الحملة لهذا الدين إلى مشارق الأرض ومغاربها .

ولقد حفظ الله القرآن من كل تبديل وتحريف فأنت ترى أن النسخة من القرآن الموجودة في أمريكا ، والصين ، والهند ، وروسيا ، وأوروبا ، وأفريقيا ، هي نفس النسخة التي كان يقرأها الآباء والأجداد في مشارق الأرض ومغاربها، وهي نفس النسخة التي نزلت على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبهذا نعرف أن الخوارق البينة سجلت في أعظم سجل ، أجمع الناس على اختلاف أجناسهم وأوطانهم وأزمانهم على صحة سنده.

ولو أن القرآن أخبر بأن حادثة وقعت للناس وهي لم تقع ، مثل انشقاق القمر، أو تسليط الرياح على المشركين في غزوة الأحزاب ، لكذب بها الكافرون والمسلمون ، وعندئذ لا يبقى أحد على الإسلام ، لكن الذي حدث هو العكس ، فدل ذلك على أن كل ما سجله القرآن هو الحق الذي وقع وشاهده وصدقه المسلمون والكافرون ، وحفظه الله لنا في القرآن بدون تحريف أو تبديل .

بينة تغير نظام الخلق - من الحديث الشريف :

وقد حفظ المسلمون أقوال رسولهم ، وأعماله وتقريراته ، وحفظوا أوصافه الخلقية والجسدية ، وكل ما يتصل به، ووصفوا الخوارق التي أجراها الله على يده، والتي كانت سبباً في إسلام الكثير منهم ، وتناقلوا ذكرها جيلاً بعد جيل ، وانبرى علماء الحديث يدققون في الروايات في كل جيل ويضبطون الألفاظ، ويتحرون السند.

ولقد حدثت خوارق كثيرة على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت في كتب الحديث ، نذكر منها الخوارق التالية:

1 - تكثير الماء القليل :

(47) - "السكينة" : هي الطمأنينة . "أيده" : أي قواه .

كان المسلمون بحاجة إلى ماء وهم في المدينة للوضوء قال أنس رضي الله عنه : (أتى النبي صلى الله عليه وسلم بإناء ، وهو بالزوراء مع أصحابه ، فوضع يده في الإناء ، فجعل ينبع من بين أصابعه ، فتوضأ القوم ، قال قتادة : قلت لأنس : كم كنتم؟ قال: ثلاثمائة)⁴⁸ .

وحدث مثل هذا والرسول مسافر مع سبعين من أصحابه . رواه البخاري .

وحدث مثل هذا في الحديبية والمسلمون ألف وأربعمائة - رواه البخاري - فزاد ماء البئر .

وحدث مثل هذا أيضاً في سفر الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه ، عندما مسح على مزادتي امرأة كانتا فارغتين من الماء ، فامتلتا فشرب المسلمون وكان عددهم أربعين رجلاً ، ثم ملأ كل قربته فعادت المرأة تقول : لقيت أسحر الناس أو هو نبي كما يقولون ، فأسلم قومها⁴⁹ .

2 - تكثير الطعام القليل :

كان الرسول صلى الله عليه وسلم جائعاً ، فجاءه أبو طلحة ببضعة أقرص من شعير ، فأمر الرسول بفتها ودعا الله ، وأمر أن يأكلوا منها عشرة عشرة ، حتى شبع الجميع ، وكان عددهم سبعين أو ثمانين رجلاً .

واشتد الجوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم يحفرون الخندق ، فذبح جابر رضي الله عنه شاة لرسول الله وبعض أصحابه ، فنادى الرسول صلى الله عليه وسلم أهل الخندق كانوا ألفاً ، فبارك الله اللحم ، والخبز ، حتى شبعوا جميعاً⁵⁰ .

في غزوة الخندق ، وفي غزوة تبوك . أصيب المسلمون بمجاعة فاستأذنوا الرسول أن يذبحوا الإبل ، فاقترح عمر رضي الله عنه أن يجمع المسلمون بقايا طعامهم ويدعو الرسول بالبركة ، فوافق الرسول صلى الله عليه وسلم على هذا ، فبارك الله لهم في الطعام ، فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملأوه⁵¹ . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أني رسول الله .

3 - حنين جذع النخلة وتسبيح الطعام :

لما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستناد في خطبة الجمعة إلى جذع النخلة ، الذي كان يستند إليه ، بعد أن صنع له المنبر ، حن الجذع كحنين الناقة ، حتى كاد يتصدع ، فجاء إليه رسول الله ، وضمه حتى سكن⁵² .

وروى البخاري والترمذي : أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يسمعون تسبيح الطعام وهو يؤكل بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

4 - حماية الرسول من أعدائه :

أقسم أبو جهل؛ أن يطأ رقبة محمد بقدمه إذا رآه يصلي ، فرآه يصلي ، فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لينفذ وعده ، فعاد على عقبه وهو يتقي بيديه ، فقيل له : ما لك؟ قال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهو لا وأجنحة .

وتأمرت يهودية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدست السم في شاة قدمتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فعلم أنها مسمومة فمجهها ، بينما أصاب السم بعض أصحابه .

(48) - رواه البخاري ومسلم .

(49) - رواه البخاري .

(50) - رواه البخاري .

(51) - رواه مسلم .

(52) - رواه البخاري والنسائي والترمذي .

5 - إخباره بالغيب :

لقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بما هو كائن في حياته، وبعد موته ، إلى قيام الساعة .
لقد كان سبب إسلام شعب اليمن أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر الفرس واليمنيين بأن ملك الفرس قد قتله الله انتقاماً لرسوله - عليه وآله والصلاة والسلام - وحدد الرسول الليلة التي قتل فيها كسرى ملك الفرس، فكان هذا سبباً في إسلام شعب اليمن وإسلام الفرس الذين كانوا في اليمن ، ودخلوا في دين الله أفواجا .

البشارات في الكتب السابقة

لا يستطيع أحد أن يزعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو الذي كتب لليهود ، والنصارى ، والمجوس ، والهندوس في كتبهم المقدسة: أوصافه ، واسمه ، وأوصاف زمنه ، وبلاده التي تشهد له ، بأنه رسول من عند الله، لأن ذلك قد كتب في كتبهم قبل ولادته بقرون كثيرة ، قال تعالى : { وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ }⁵³ (الشعراء:196) .

وقد كانت هذه البشارات سبباً في إقناع أجيال من النصارى ، والمجوس ، واليهود ، والهندوس ، إلا أن الذين أصروا على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم قاموا بالتحريف ، والتبديل لهذه البشارات ، وبرغم ذلك لا تزال في كتبهم بشارات، تشهد بصدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، ومن تلك البشارات:

- في التوراة :

جاء في التوراة : أن نبياً سيظهر في مكة , (الديار التي سكنها قيدر) - وهو أحد أبناء إسماعيل عليه السلام ، وقيدر سكن مكة ، كما تحكي التوراة ذلك - وأن اسمه يرتفع فيها ، وأنه يركب الجمل ، وأنه يحارب بالسيف، وأنه ينتصر هو وأصحابه ، وأنه يبارك عليه في كل يوم، (وهذا ما يفعله المسلمون عند التشهد) ، وأن ملوك اليمن تأتيه بالقرايين ، وأن علامة سلطانه على كتفه بقدر بيضة الحمام (وهذه العلاقة كانت على كتف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه أوصاف لا تنطبق إلا على محمد صلى الله عليه وسلم).

كما جاء في التوراة : أن الله تجلى على الناس في أماكن ثلاثة ، وهي :

سيناء ، حيث أعطي موسى عليه السلام التوراة .

ساعير (جبال في فلسطين) حيث أعطى الإنجيل ليعسى عليه السلام .

مكة (فاران) ، حيث نزل القرآن على محمد عليه وعلى آله الصلاة والسلام.

تقول التوراة التي بين يدي اليهود إلى يومنا هذا : (جاء الرب من سيناء ، وأشرق لنا من ساعير ، وتلألأ من جبل فاران) ، وفاران هو الاسم القديم لمكة، كما تذكر التوراة نفسها في سفر التكوين(21: 22) .

وقد أشار بعض الباحثين ، إلى أن القرآن قد أشار إلى هذه الأماكن الثلاثة بقوله تعالى : { وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ(1) وَطُورِ سِينِينَ(2) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ

{ (التين: 1-3) .

التين والزيتون : إشارة إلى منابتهما في فلسطين .

طور سينين : سيناء .

هذا البلد الأمين : مكة .

- في الإنجيل :

جاء في إنجيل برنابا ، في الباب (220) : أن عيسى عليه السلام ، قال لأتباعه : (وسيبقى هذا إلى أن يأتي محمد رسول الله الذي متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله).

وجاء في إنجيل يوحنا أن عيسى عليه السلام ، أخبر قومه بالنبي الذي سيأتي بعده ، فقال : (إن لي أموراً كثيرة ، أيضاً لا أقول لكم ، ولكن لا تستطيعون الآن أن تحتملوا ، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم ويخبركم بأمر آتية) .

ومحمد صلى الله عليه وسلم هو الذي جاء بعد عيسى - عليه الصلاة والسلام - وتكلم بالوحي ، وأخبر الناس بالغيب الذي سيأتي. وقال أحد كبار العلماء من النصارى ، هو الأب عبد الأحد داود الآشوري، في كتابه (الإنجيل والصلب) : إن العبارة التي يرددها النصارى الآن (المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة) لم تكن هكذا من الأول بل كانت : (المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وللناس أحمد)، قال تعالى : { وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ } (الصف: 6) .

- في كتب الهندوس :

جاء في كتاب (السامافيدا) وهو كتاب مقدس عند البراهمة في الهند، في الفقرة السادسة، والثامنة من الجزء الثاني، ما نصه : (أحمد تلقى الشريعة من ربه وهي مملوءة بالحكمة) .

وجاء في كتاب (ادروافيدم) - وهو كتاب مقدس عند الهندوس - : (أيها الناس اسمعوا وعوا يبعث المحمد⁵⁴ بين أظهر الناس ، وعظمته تحمد حتى في الجنة، وهو المحامد)⁵⁵ .

وجاء في كتاب (بهوش برانم) من كتب الهندوس المقدسة: (في ذلك الحين يبعث أجنبي مع أصحابه باسم محامد⁵⁶ الملقب بأستاذ العالم⁵⁷ والملك يطهره بالخمس المطهرة)⁵⁸ - الجزء : 1 - فصل 3 - عبارات 3 - وما بعدها⁵⁹ .

- في كتب المجوس :

جاء في كتاب (زندا أفسستا) (أن الله سيبعث رسولاً هذا وصفه: رحمة للعالمين، ويتصدى له عدو ويسمى أبا لهب ، ويدعو إلى إله واحد) . وصدق الله القائل: { الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم } (البقرة: 146) واليهود والنصارى هم أهل الكتاب ، والهندوس والمجوس أمر

(54) - المحمد : أي محمد.

(55) - المحامد : أي محمد .

(56) - محامد : أي محمد ولكنه التحريف .

(57) - أستاذ العالم : أي رسول للعالمين .

(58) - الخمس المطهرة : الصلوات الخمس.

(59) - من كتاب التيارات الخفية في الديانات الهندية القديمة لمؤلفه (تي محمد) .

الرسول صلى الله عليه وسلم أن نسن بهم سنة أهل الكتاب ، غير آكلي ذبائحهم ولا ناكحي نسايتهم ، لأنه والله أعلم قد تطاول العهد على كتبهم ، وكثر فيها التحريف ، ولقد كانت هذه البشارات وغيرها سبباً في إسلام الكثير من أسلاف اليهود ، والنصارى ، والمجوس ، والهندوس .

شهادة أحواله بصدق نبوته صلى الله عليه وسلم

ما من شخص يتصدى لأمر الناس إلا وسلط الناس أنظارهم عليه لدراسة أحواله ، فما تمر الأعوام إلا وقد انكشف على حقيقته ، وخاصة إذ انقلب بين أوضاع الضعف والقوة ، والخوف والأمن ، والفقر والغنى ، وقلة الاتباع وكثرتهم ، والشدة والرخاء ، كما حدث في حياة محمد صلى الله عليه وسلم ، وإذا تأملنا أحواله وجدناها تشهد بأنها أحوال لا تكون إلا لنبي ، ومن أبرز هذه الأحوال:

1 - الصدق :

لقد شهد له قومه بالصدق فسموه قبل أن يبعثه الله بالرسالة (الصادق الأمين) ولقد قال له أبو جهل : إنا لا نكذبك ، ولكن نكذب ما جئت به⁶⁰ فأنزل الله قوله : { فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ } (الأنعام: 33) . ولقد عرف عنه الصدق في كل أموره حتى في مزاحه صلى الله عليه وسلم الأمر الذي لا يتحقق إلا لنبي مرسل .

2 - الالتزام الكامل بما يدعو الناس إليه :

إن النفس البشرية تكره أن يفرض عليها قيود الالتزام ، وخاصة إذا وصلت إلى درجة التمكن في المجتمع ، وإذا تأملنا حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدنا أن حاله يشهد بأنه أتقى الناس ، وأكملهم خلقاً ، وأعظمهم عبادة ، كان يصوم حتى يقول أهله لا يفطر ، وكان يقوم الليل في صلاته حتى تفتطرت قدماه ، فقالت عائشة رضي الله عنها : لم تصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال : (أفلا أكون عبداً شكوراً؟)⁶¹ . كان ينفق المال فلا يبقى في بيته شيئاً ، ومات ودرعه مرهونة عند يهودي .

وما حفظ عنه من أذكار وأدعية يشهد أنه كان دائم الذكر لربه ليلاً ونهاراً ، وعند كل عمل من الأعمال ، وكان مع ذلك هو الرسول ، المبلغ لدين الله ، قائد جيش المسلمين ، وكان المسلمون إذا حمي الوطيس احتموا برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مضرب المثل في الشجاعة والإقدام .. ثبت يوم حنين مع مائة من أصحابه لأربعة آلاف من المشركين ، ونصرهم الله على عدوهم .

خيره المشركون في مكة بين إعطائه ما يريد من المال ، والجاه ، والسلطان ، مع ترك الدين وبين الحرب ، والتنكيل به إن أصر على دينه ، فاختار أن يبلغ ما أمره الله به ، وبعد أن خضعت له الدنيا ، نزل قول الله : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأَسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا } (الأحزاب : 28) . فاخترن جميعاً رسول الله ، وزهدن رضوان الله عليهن في الحياة الدنيا وزينتها .

لقد كان مثلاً أعلى للحكم بين الناس بالعدل ، فقال : (لو سرق فتاة فاطمة بنت محمد لقطعت يدها)⁶² .

وكان مثلاً أعلى في كل شيء ، حتى أنك تجد كل أبناء أمته يحاول أن يتشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم في أي جانب ، فلا يستطيع أن يبلغ درجته ، فاجتماع المثل العليا في كل جانب لا يكون إلا لنبي مرسل ، شهد له ربه بقوله : { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ } (القلم: 4) ، وجعله أسوة للناس ، فقال سبحانه : { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } (الأحزاب : 21) .

(60) - أخرجه الترمذي ، وقال ابن كثير : ورواه الحاكم من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق . ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(61) - متفق عليه .

(62) - متفق عليه .

3 - قيامه بالرسالة وتبليغ الناس :

لقد أدى الرسول حق الرسالة والتبليغ ، فمرة باتصاله الشخصي ، ومرة بدعوة الناس إلى الطعام ، ومرة بعرض نفسه على القبائل صابراً ، والقبائل تردده واحدة بعد واحدة ، ومرة بدعوة الناس إلى الاجتماع ، ومرة بالتصدي للناس ، ومرة بإرسال الدعاة من أصحابه ، ومرة بإرسال الرسل إلى الملوك والأمراء ، ومرة بجهاد الذين يصدون عن سبيل الله ، ولقد واجه الكفار هذه الدعوة وأهلها بألوان من القسوة والشدة ، والأذى ، فهذه قريش تهزأ برسول الله وأصحابه ، ثم تفتك ببعض المسلمين حرقاً ، وقتلاً ، وتعذيباً وتحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنوات في شعب أبي طالب ، حتى أكل المسلمون الجلد والشجر ويشد الأذى فيهاجر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين : إلى الحبشة فراراً بدينهم ، ثم إلى المدينة ، وتأخرت قريش على قتل رسول الله ، ولكن الله أمره بالهجرة ، للنجاة من كيدهم ، بلغ ما أمره به ربه حتى الذي فيه عتاب له من ربه مثل قوله تعالى : { عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَنْ جَاءَهُ النَّاعِمَى (2) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّه يُزَكَّى (3) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (4) أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَى (5) فَانْتَ لَهُ تَصَدَّى (6) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكَّى (7) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (8) وَهُوَ يَخْشَى (9) فَانْتَ عَنْهُ تَلْهَى }⁶³ (عبس : 1-10) وذلك بسبب أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يدعو بعض كبار الكفار ، فجاءه المسلم الأعمى ابن أم مكتوم يسأله ، فأعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه لنلا يشغله بسؤاله عن دعوة كبراء القوم الذين إذا أسلموا كان إسلامهم خيراً للمسلمين ، فلم يزد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن عبس بوجهه وابن أم مكتوم أعمى ، لا يرى وجه الرسول العابس ، فلا يؤذيه ذلك ، ولكن الله سبحانه أنزل عليه العتاب فبلغه الرسول كما نزل⁶⁴.

إن سعي محمد صلى الله عليه وسلم كان منصباً في حياته كلها على أن يبلغ ما أمره به ربه أن يبلغه مهما كانت المصاعب والعقبات ، وفي حجة الوداع ، قال للمسلمين : (ألا هل بلغت)؟ فيشهدون له ، بأنه قد بلغ إليهم دين الله ، فيقول : (اللهم اشهد)⁶⁵ . إن حالة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل جانب من جوانبها تشهد بأن صاحب هذه الأحوال لا يكون إلا نبياً رسولاً .

أحوال أتباعه وأعدائه الشاهد بصدق رسالته

- أتباعه :

إن قدرة الأستاذ تظهر في تلاميذه ، ومهارة المدرب تظهر على من دربهم ، وصدق الرسول يظهر في أحوال أتباعه ، فهم الذين عاشوا معه ، ورباهم ، وزكاهم ، وعلمهم ، ومن تأمل في أحوال الصحابة ، يجد مصداق وصف الله لهم : { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ } (آل عمران : 110) ، ولقد شهدت شعوب الأرض في ذلك الزمان للمسلمين بأنهم خير أمة عرفتها البشرية ، ذلك لأن القاعدة في معاملة الشعوب والدول أن أي شعب أو دولة تغزو دولة أخرى وشعباً آخر ينتج عن هذا الغزو كراهية وحقد بين الشعوب . نرى شاهداً عليه إلى يومنا بين المستعمرين ، والمستعمرين ، لكن هذه القاعدة نقضت مع الفاتحين المسلمين ، الذين سادوا الأرض في زمنهم ، لقد أحدث الفتح الإسلامي حباً ونصراً ، وولاءً ، وامتزاجاً بين المسلمين وغيرهم ، وأصبحت تلك الشعوب المفتوحة تحمد الله على أن أرسل إليهم هؤلاء الفاتحين المسلمين ، وإذا بحثت عن السبب ستجد أن الصراع بين الناس يكون على الدنيا ، أما المسلمون فقد بذلوا دنياهم ، لإسعاد الناس في الآخرة ، لأنهم آمنوا بالآخرة حق الإيمان ، ولأن هذا الإيمان والسلوك كانا ثمرة الامتناع الكامل بالأدلة التي قدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدق رسالته ، وبالسلك العملي الذي تجسد فيه الإيمان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(63) - "عبس" قطب وجهه الشريف . "تولى" : أعرض . "يزكي" : أي يتطهر بتعليمك إياه من دنس الجهل . "تصدى" : أي تتعرض له بالإقبال عليه . "تلهى" : تتشاغل وتعرض .

(64) - رواه الترمذي وأبو يعلى : قال الحافظ العراقي : رجاله رجال الصحيح .

(65) - رواه أحمد ومسلم .

- أعداؤه :

بعد طول العناد تحول الأعداء إلى أشد الأنصار ، وأسلم الكثير من أهل الكتب السابقة ، كل ذلك تصديقاً لرسول الله وإيماناً به .

صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان

إن وضع القوانين والتنظيمات لأي شيء يتوقف على العلم بحقيقة من توضع له القوانين ، وبالظروف المحيطة . والإنسان بجهل حقيقة روحه ، والمستقبل الذي سيواجهه لذلك عجز الإنسان أن يضع تشريعات وقوانين دائمة تصلح لكل زمان ومكان ، لكن الخالق سبحانه هو العليم بحقيقة خلق الإنسان ، قال تعالى : { أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } (الملك : 13) . وهو المحيط علماً بما كان وما سيكون ، ولذلك لا يمكن لبشر أن يأتي بشريعة ثابتة مرنة تتناسب مع كل زمان ومكان إلا إذا كان مرسلًا بها من عند ربه .

ولقد حكم المسلمون مشارق الأرض ومغاربها مئات السنين فكانت شريعة الإسلام صالحة للحكم طوال القرون في مختلف البيئات والأماكن . ولقد فرضت شريعة الإسلام نفسها في زماننا هذا رغم ضعف أهلها ، فجعلتها الأمم المتحدة مصدراً من مصادر القانون الدولي ، مع أن القانون الروسي أو الأمريكي لا يعتبر أي منهما مصدراً من مصادر القانون الدولي .. ولقد شهد خبراء القانون الدولي (الأجانب) بأن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان .

قال الدكتور (إيزيكو انسابا توحين) أحد علماء القانون (إن الإسلام يتمشى مع مقتضيات الحاجات الظاهرة فهو يستطيع أن يتطور دون أن يتضاءل في خلال القرون ويبقى محتفظاً بكامل ما له من قوة الحياة والمرونة ، فهو الذي أعطى للعالم أرسخ الشرائع ثباتاً ، وشريعته تفوق في كثير الشرائع الأوروبية .

أما المؤتمر الدولي للقانون الذي انعقد في (لاهاي) عام 1932 فهو الذي طالب عصبة الأمم ، أن تجعل الشريعة الإسلامية مصدراً من مصادر القانون الدولي بعد أن اقتنع خبراء القانون الدوليين بعظمة الشريعة الإسلامية ، وفائدتها للناس في هذا الزمان .

وأما المؤتمر الدولي للقانون المقارن الذي انعقد في باريس عام 1952م ، فقد طلب من الجهات القانونية الدولية أن تسمح بانعقاد المؤتمر الدولي للفقهاء الإسلامي في كل سنة بدلاً من عقده في كل عشر سنوات ، وعللوا ذلك بأنهم يرغبون أن يتعلموا الفوائد الكثيرة من دراستهم للشريعة الإسلامية فقالوا في مؤتمريهم: (نظراً لما ثبت للمؤتمرين من الفائدة المحققة التي أتاحتها البحوث التي عرضت في خلال أسبوع (الفقه الإسلامي) وما دار حول هذه البحوث من مناقشات أثبتت بجلاء أن (الفقه الإسلامي) يقوم على مبادئ ذات قيمة أكيدة لا مريية في نفعها ، وإن اختلاف المبادئ في هذا الجهاز التشريعي الضخم، منطوق على ثروة من الآراء الفقهية ، وعلى مجموعة من الأصول الفنية البديعة التي تتيح لهذا الفقه أن يستجيب بمرونة هائلة لجميع مطالب الحياة الحديثة ، فإن أعضاء المؤتمر يعلنون رغبتهم في أن يظل أسبوع الفقه الإسلامي يتابع أعماله سنة فسنة) .

فمن أين لأمي بعث منذ ألف وأربعمائة عام أن يأتي بهذا التشريع لو لم يكن مرسلًا من عند ربه؟

وعجباً للجهلة من المسلمين ، الذين يريدون إلغاء الشريعة الإلهية واستبدالها بالقوانين البشرية!! .

إخلاص العباداة

- أولاً : ما هي العباداة :

هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه وأمر به فكل ما أمرنا الله به ففعله عباداة؛ وكل ما نهانا عنه فالابتعاد عنه عباداة ، والعبادات المشروعة مثل : الأكل، والشرب، واللباس، تصبح عبادات إذا قصد بها امتثال أمر الله سبحانه وتعالى، والاستعانة بها على طاعته .

ولا تكون العبادة صحيحة إلا إذا كانت خالصة له ، موافقة لشرعه وجمعت بين غاية الخضوع والذل لله ، مع كمال المحبة له ، قال الله تعالى في وصف المؤمنين : { **وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ** } (البقرة: 165) .

والعبادة : هي الغاية التي خلق الله لها الخلق ، وأرسل لها الرسل ، وإذا كان الله قد سخر للإنسان ما في السماوات وما في الأرض ، فإنما ذلك ليسخر الإنسان هذا كله في طاعة الله سبحانه وتعالى ، قال الله تعالى : { **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً** }⁶⁶ (لقمان: 20) .. وقال تعالى : { **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي** } (الذاريات : 56)، وقال تعالى : { **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**⁶⁷ **فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ** } (النحل: 36) .

وللعبادة شرطان أساسيان لا تقبل إلا بهما :

1 - الإخلاص لله : فلا يعبد إلا الله ، ولا يقصد غير وجه الله ابتغاء مرضاته سبحانه وتعالى ، قال الله تعالى : { **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ** } (البينة : 5) .

2 - متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم : أي لا يعبد الله إلا بما شرع على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى : { **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** } (آل عمران: 31) وقال تعالى في وصف الكافرين : { **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ** } (الشورى: 21) ، فمن صلى المغرب أربع ركعات مثلاً بطلت صلاته ومن صلاها ثلاثاً فهي صحيحة ، ذلك لأن الثانية موافقة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والأولى مخالفة لما جاء به الرسول ، قال عليه وعلى آله الصلاة والسلام : (من أحدث في أمرنا هذا ليس منه فهو رد)⁶⁸ .

- ثانياً : أنواع العبادة :

وتتحقق العبودية لله سبحانه بتمام خضوع الإنسان باطناً وظاهراً ، اعتقاداً وقولاً وعملاً للمولى سبحانه .

والعبادة أنواع : منها :

أ - عبادات اعتقادية

1 - اعتقاد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله :

وذلك عن طريق العلم القطعي الذي لا يبقى معه ريب ولا شك .. قال الله تعالى : { **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ** } (محمد: 19) وقال تعالى : { **أَفَمَنْ يَعْظُمُ أَنَّ أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا النَّالِبَابِ** } (الرعد : 19) .

2 - محبة الله عز وجل :

قال الله تعالى : { **وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ** } (البقرة: 165) . وهي المحبة المقترنة بالذل والخضوع والاستسلام والذي لا يكون إلا باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى : { **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** } (آل عمران: 31) ، ومن مقتضى حبنا لله أن نحبه رسوله صلى الله عليه وسلم وأن نحبه دين الإسلام .

(66) - "سخر" : ذلل لكم ما في الكون لتنتفخوا به . "أسبغ" : أتم وأوسع وأكمل نعمه . "ظاهرة وباطنة" : النعم الظاهرة: منها حسن الصورة وتسوية الأعضاء واعتدال القامة ، والباطنة : منها العقل والهداية إلى الحق.

(67) - "الطاغوت" : هو كل ما يعبد من دون الله من بشر أو حجر أو بقر أو غير ذلك، حاشا من سبقت لهم من الله الحسنى، كالملائكة وعيسى ابن مريم عليه السلام.

(68) - "فهو رد" : مردود وباطل . رواه البخاري ومسلم .

وأما محبة الأبناء والأهل فليست عبادة لهم لأنها لا تستلزم الخضوع والاستسلام الكامل لهم ، وهي مع ذلك لا تكون أكبر من محبة المؤمنين لله وللرسول، فإن تعارض حب الله ورسوله مع غيره سقط الحب الذي لغير الله من قلب المؤمن.. قال الله تعالى : { قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تُرَضُّونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ }⁶⁹ (التوبة : 24) .

3 - الخوف من الله وخشيته مع الرجاء والطمع في رحمته :

قال تعالى : { أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَانِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ }⁷⁰ (الرمز: 9).

وقال تعالى في وصف المؤمنين : { وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ }⁷¹ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ { (المعارج: 27، 28) .

وقد يخاف العبد من أمور دنيوية ولكن هذا الخوف ليس عبادة لتلك الأشياء لأنه خوف فطري من أسباب يعتقد المؤمن أن الله هو الذي قدرها ، ولا يصل هذا الخوف في قلب المؤمن إلى درجة أكبر من خوف الله سبحانه وتعالى إذ أنه يعتقد أن الله سبحانه قادر على إنقاذه من كل سوء . قال تعالى : { وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بَضْرًا فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بَخِيرٌ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (الأنعام: 17) .

4 - الإنابة إلى الله :

وهي الإسراع إلى مرضاة الله والرجوع إليه واستغفاره وطلب توبته ، قال تعالى : { وَأَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ } (54) وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ }⁷² (الزمر : 54، 55) ، وقال تعالى في وصف المؤمنين : { وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا⁷³ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ } (آل عمران : 135) .

5 - التوكل على الله والاستعانة به :

وحقيقة التوكل : هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح ، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة .

ولقد قدر الله ونظم الكون بأقدار وسنن وأسباب ، وتعبدنا بالأخذ بها ، ومن أقوى هذه الأسباب : التوكل على الله ، قال الله تعالى : { .. وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا } (الطلاق: 3) . وقال تعالى : { إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ } (يونس: 84) .. وقال تعالى : { وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } (التغابن : 13) . وفرض الله على عباده في كل صلاة أن يقولوا : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } (الفاتحة : 5) وفي الحديث الشريف: (.. وإذا استعنت فاستعن بالله..)⁷⁴ .

ب - عبادات قولية :

1 - النطق بالشهادتين :

(69) - "اقتربتموها" : أي اكتسبتموها . "كسادهما" : أي بوارها وعدم رواجها عند الناس . "فتربصوا" : انتظروا . "الفاسيقين" : الخارجين عن دين الله سبحانه وتعالى .

(70) - "قانت" : مطيع خاضع عابد . "آناء الليل" : ساعاته وأوقاته .

(71) - "مشفقون" : خائفون استعظاما لله تعالى .

(72) - "أنبيوا" : ارجعوا إلى ربكم بالتوبة .. "وأسلموا له" : أخلصوا له عبادتكم . "بغته" : فجأة .

(73) - "لم يصروا" : لم يستمروا بل يقلعوا عن الفاحشة ، وهي المعصية الكبيرة المتناهية في القبح .

(74) - جزء من حديث صحيح رواه أحمد والترمذي ، عن ابن عباس رضي الله عنه .

إذ لا يصح إسلام المرء ما لم ينطق بالشهادتين إلا الأخرس فيكْتَفَى منه بما يدل على إيمانه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام⁷⁵ وحسابهم على الله) .

2 - ذكر الله والتسبيح والاستغفار:

قال الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (41) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا } (الأحزاب: 41، 42). وقال تعالى : { وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ ثَابِعُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ } (هو: 3) . وقال تعالى : { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا } (النصر: 3) .

3 - الدعاء والاستغاثة:

إن الذي يدعو ويستغيث يكون عاقلاً إذا دعا من يسمعه ويسمع غيره في كل وقت ، وفي كل مكان ، وبأي لغة ، وأيضاً يكون عاقلاً إذا دعا من يعتقد أنه قادر على إجابة دعوته ، وتفريج كربته ، وقضاء حاجته بأسباب غيبية ، وقدرة خارقة تقدر على التصرف في هذا الكون ، وهذا لا يكون إلا لله ، ولا يكون لأحد من خلقه حياً أو ميتاً ، ومن اعتقد أن غير الله يملك شيئاً من ذلك من دون الله فتوجه إليه بالدعاء فقد وقع في الشرك ، قال الله تعالى : { ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (13) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِيرِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكُمْ مِثْلُ خَبِيرٍ } (فاطر: 13، 14) .

وقال الله تعالى : { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ⁷⁶ } (غافر: 60) . وقال تعالى : { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ } (البقرة: 186) ، فإن كان ذلك الذي يتوجه بالدعاء لغير الله جاهلاً فيجب على من يعلم أن يبين له ويجب عليه الاتباع وإنقاذ نفسه من الوقوع في الشرك .

4 - الحلف بالله :

فالمسلم لا يحلف إلا بالله تعظيماً له وإجلالاً ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت)⁷⁷ . ومن حلف بغير الله معظمه لا كتعظيم الله ، خائفاً منه كخوفه من الله فقد وقع في الشرك ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من حلف بغير الله فقد أشرك)⁷⁸ ، ولا يجوز الحلف بالأمانة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من حلف بالأمانة فليس منا)⁷⁹ .

5 - الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال الله تعالى : { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } (فصلت: 33).. وقال تعالى : { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (يوسف: 108) ، وقال تعالى : { وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (آل عمران : 104) .

ج - عبادات عملية

(75) - " إلا بحق الإسلام " : أي الحدود التي يوجب الإسلام إقامتها على كل مسلم ثبتت عليه بوجه شرعي ، كحد القتل والزنا والسرقة وغيرها من الحدود : الحديث متفق عليه .

(76) - " داخرين " : أي صاغرين أدلاء .

(77) - رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه .

(78) - رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد والنسائي والدارمي .

(79) - رواه أحمد وأبو داود .

1 - إقامة الصلاة :

قال الله تعالى : { وَمَا أَمُرُّوْا إِلَّا لِیَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِیْنَ لَهُ الدِّیْنَ حُنَفَاءَ وَیُقِیْمُوا الصَّلَاةَ وَیُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِکَ دِیْنُ الْقِیْمَةِ } (البینة : 5) وقال تعالى فی وصف المؤمنین : { رَجَالٌ لَا تُلْهِیْهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَیْعٌ عَنْ ذِکْرِ اللَّهِ وَاقَامُوا الصَّلَاةَ وَإِیتَاءَ الزَّكَاةِ یَخَافُوْنَ یَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِیْهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ } (النور: 37) . وقال تعالى : { الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِی الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ } (الحج: 41) ، وقال تعالى : { وَأَمْرُ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى } (طه: 132) .

2 - إيتاء الزكاة :

قال الله تعالى : { وَمَا أَمُرُّوْا إِلَّا لِیَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِیْنَ لَهُ الدِّیْنَ حُنَفَاءَ وَیُقِیْمُوا الصَّلَاةَ وَیُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِکَ دِیْنُ الْقِیْمَةِ } (البینة: 5) وقال تعالى : { وَأَقِیْمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ .. } (البقرة: 110) . وقال تعالى : { لَكِنَّ الرَّاْسِخُوْنَ فِی الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُوْنَ یُؤْمِنُوْنَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَیْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِیْمِیْنَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُوْنَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُوْنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيْهِمْ أَجْرًا عَظِیْمًا } (النساء: 162) .

3 - صوم رمضان :

قال الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } (البقرة: 183) . وقال تعالى : { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ } (البقرة : 185) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)⁸¹ .

4 - حج البيت لم استطاع إليه سبيلاً :

قال الله تعالى : { وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } (آل عمران : 97) ، وقال تعالى : { وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ } (الحج: 27) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان)⁸³ .

5 - الحكم بما أنزل الله :

ليس من حق أحد أن يضع قوانين وتشريعات للإنسان إلا الخالق سبحانه، قال تعالى : { أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } (الأعراف: 54) ، فمن جعل من نفسه أو من غيره مشرعاً لقوانين وأنظمة لم يأذن بها الله يرى أنها أفضل من الإسلام فقد أشرك بالله ، ودعا إلى عبادة غير الله ، قال تعالى : { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ } (الشورى: 21) . وقال تعالى: { إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ } (يوسف: 40) . والمؤمن يستسلم لحكم الله ، ويخضع لشريعته بنفس راضية ، قال تعالى : { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } (النساء: 65) .

6 - الجهاد في سبيل الله :

(80) - "كتب" : فرض .

(81) - رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه والنسائي وأحمد عن أبي هريرة .

(82) - "وآذن" : ناد في الناس وأعلمهم . "رجالاً" : مشاة على أقدامهم ، "ضامر" : بعير هزيل من بعد الشقة . "فج عميق" طريق بعيد .

(83) - متفق عليه .

(84) - "شجر" : أشكل والتبس عليهم من الأمور . "حرجاً" : ضيقاً أو شكاً .

قال الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (10) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (الصف: 10، 11) ، وقال تعالى : { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ } (آل عمران: 142).

7 - النذر لله :

قال الله تعالى : { يُؤْفُونَ بِالَّذِينَ يَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا⁸⁵ } (الإنسان: 7) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصيه)⁸⁶ .

8 - الطواف ببيت الله الحرام :

قال تعالى : { وَعَهْدُنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ } (البقرة: 125) . وقال تعالى : { وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ } (الحج: 29) .

9 - الذبح لله :

قال الله تعالى : { قُلْ إِنْ صَلَّيْتُمْ وَنَسَكْتُمْ وَمَحَيَّيْتُمْ وَمَمَاتَيْتُمْ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ } (الأنعام: 162) ، والذبح من النسك ، قال تعالى : { فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ } (الكوثر: 2) .
وروى الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لعن الله من ذبح لغير الله)⁸⁷ .

أولاً : صدق العزيمة بالعبادة

ومن يريد أو يعبد ربه فإنه يحتاج إلى عزيمة صادقة يتغلب بها على الكسل والتواني ، ويتمكن بها من بذل الجهد في طاعة الله ، حتى يصدق قوله عمله، قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ } (الصف: 2) ومن أراد عوناً لتقوية عزمته فعليه بجلساء الخير ، قال تعالى : { وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا (28) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا } (الفرقان: 27-29) .

ثانياً : الإيمان بالملائكة

الإيمان بالملائكة : هو الإقرار الجازم بوجودهم وأنهم خلق وعباد لله مسخرون ومكرمون . قال تعالى : { لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ } (الأنبياء: 27) .

وقال سبحانه : { لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ } (التحريم: 6) ، وقال تعالى : { وَمَنْ عَشِدَّ لَهُ إِسْتِكْبَارُ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (19) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ⁸⁸ } (الأنبياء: 19 ، 20) . وقد جعلهم الله أقساماً ، منهم الموكل بأداء الوحي إلى الرسل ، وهو الروح الأمين جبريل عليه السلام ، ومنهم الموكل بقبض الأرواح ، وهو ملك الموت وأعوانه ، ومنهم الموكل بالصور ، وهو إسرافيل ، ومنهم الموكل

(85) - "مستطيراً" : منتشرراً غاية الانتشار .

(86) - رواه أحمد والبخاري والترمذي وغيرهم عن عائشة .

(87) - رواه مسلم وأحمد والنسائي .

"سبيلاً" : طريقاً إلى الهدى والنجاة . "الذكر" : القرآن الكريم .

(88) - " لا يفترُونَ" : لا يكلون ولا يعيون .

بالمطر، وهو ميكائيل ، ومنهم الموكل بأعمال العباد، وهم الكرام الكاتبون ، ومنهم الموكل بحفظ العبد من بين يديه ومن خلفه وهم المعقبات. قال تعالى : { لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ } (الرعد: 11) . ومنهم الموكل بالجنة ونعيمها ، وهم رضوان ومن معه ، ومنهم الموكل بالنار وعذابها ، وهم مالك ومن معه من الزبانية ورؤسائهم تسعة عشر، ومنهم الموكل بفتنة القبر ، وهما منكر ونكير ، ومنهم حملة العرش، ومنهم الموكل بالنطف في الأرحام من تخليقها إلى نفخ الروح ، ومنهم ملائكة يدخلون البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون ، ومنهم ملائكة سياحون يتتبعون مجالس الذكر ومنهم صفوف قيام لا يفتررون ومنهم ركع وسجد لا يرفعون ، ومنهم غير ما ذكر { وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ } (المدثر: 31) ونصوص هذه الأقسام من الكتاب والسنة كثيرة معروفة عند العلماء .

ثالثاً : الإيمان بالكتب

الإيمان بالكتب معناه التصديق الجازم بأن جميعها منزل من عند الله ، وأن الله تكلم بها حقيقة ، قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا } (النساء: 136) ، فمنها ما كان كلاماً إلى الرسول بدون واسطة (الرسول الملكي) ، ومنها ما بلغه الرسول الملكي إلى البشر ، قال تعالى : { وَمَا كَانَ لِنَبِّئِكَ أَنْ يَكْلَمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآيَاتِهِ مَا يَشَاءُ } (الشورى: 51) ، وقال لموسى: { قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ } (الأعراف: 144) ، وقال تعالى : { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا } (النساء: 164) ، وقال تعالى في شأن التوراة : { وَكَتَبْنَا لَهُ فِي التَّوْرَةِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ } (الأعراف: 145) ، وقال في عيسى: { وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ } (الحديد: 27) ، وقال تعالى : { وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا } (النساء: 163) ، وقال تعالى في شأن القرآن : { لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا } (النساء: 166) وقال تعالى : { وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ⁸⁹ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا } (الإسراء: 106) ، وقال تعالى : { وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ⁹⁰ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ } (الشعر: 192-195) ، وقال تعالى : { لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ } (فصلت: 42) .

والكتب التي سماها الله في القرآن هي :

القرآن ، والتوراة ، والإنجيل ، والزبور ، وصحف إبراهيم وموسى ، قال تعالى : { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ(2) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ } (آل عمران: 2، 3) ، وقال تعالى : { وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا } (النساء: 163) ، وقال تعالى : { أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى } (النجم: 36، 37) وذكر الباقي منها جملة فقال تعالى : { لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ..⁹¹ } (الحديد: 45) .

القرآن العظيم

منزلته من الكتب المتقدمة :

يقول الله تعالى : { وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ.. } (المائدة: 48) ، وقال سبحانه : { وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ } { يونس: 37} ، ومهيماً: أي مؤتمناً

(89) - "مكث" : تودة وتأن .

(90) - "الروح الأمين" : هو جبريل : عليه السلام .

(91) - القسط: العدل.

وشاهداً على ما قبله من الكتب، ومصداقاً؛ يعني يصدق ما فيها من الصحيح، وينفي ما وقع فيها من تحريف، وتبديل، وتغيير، ويحكم عليها بالنسخ، أو التقرير، ولهذا يخضع له كل متمسك بالكتب المتقدمة ممن لم ينقلب على عقبيه، كما قال تبارك وتعالى: { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (52) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ } (القصص: 52، 53).

- على جميع الأمة التزامه :

يجب على جميع الأمة اتباعه ظاهراً وباطناً والتمسك به، والقيام بحقه، قال تعالى: { وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } (الأنعام: 155)، وقال تعالى: { اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ.. } (الأعراف: 3) والآيات في ذلك كثيرة، وأوصى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب الله فقال: (فخذوا بكتاب الله وتمسكوا به)، وفي حديث الإمام علي كرم الله وجهه مرفوعاً: (إنها ستكون فتن، قلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله) وذكر الحديث⁹².

- التمسك به والقيام بحقه :

حث الإسلام أتباعه على حفظه، وتلاوته، والقيام به أثناء الليل والنهار، وتدبر آياته، وإحلال حلاله، وتحريم حرامه، والانقياد لأوامره، والانزجار بزواجه، والاعتبار بأمثاله، والاتعاظ بقصصه، والعمل بمحكماته، والتسليم بمتشابهه، على ما يليق بكمال الله من غير تجسيم ولا تعطيل، والوقوف عند حدوده، والذب عنه من تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، والنصيحة له بكل معانيها، والدعوة إلى ذلك على بصيرة.

- وعد الله بحفظه :

ولقد تكفل الله بحفظ القرآن، من أن تمتد إليه يد التحريف والتغيير، والتبديل والزيادة أو النقصان، قال الله تعالى: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } (الحجر: 9) والغاية من ذلك أن تبقى حجة الله على الناس قائمة، حتى يرث الله الأرض ومن عليها. ولا يكون حجة كذلك إلا باستمرار وجوده في الناس محفوظاً إلى يوم القيامة، ليرجعوا إليه في عقائد الدين، واستبانة الواجبات التي يأمرهم بها والمحرمات التي ينهاهم عنها، والفضائل والكمالات التي يحثهم ويندبهم إليها، وفي الاستنباط من نصوصه المختلفة للأحكام الشرعية لكل ما يجد في حياة الناس، ويطلبوا مواظمه، ونصائحه وأمثاله، وآدابه، وما تضمنه من بشائر، ونذر، ووعد، ووعد، وسائر الوسائل والأساليب التربوية المختلفة، الهادية إلى طريق مستقيم.

- الشاهد على حفظه :

يجب على كل عاقل أن يؤمن ويطمئن أن القرآن الذي يقرأه اليوم هو نفس القرآن الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم ولذلك لو أن أحداً أخذ آية من كتاب الله، وذهب إلى لندن، وباريس، وموسكو، وواشنطن، وبكين، وتل أبيب، وطاف مدن أفريقيا، وأستراليا، وذهب إلى مكة، والمدينة، وأخذ مصحفاً من كل هذه الأماكن والمدن، وفتح السورة المأخوذ منها تلك الآية، لوجد أن القرآن واحد، والآية التي أخذها منه واحدة، بل إنه يجد أن كل ما بين دفتي المصاحف كلاماً واحداً لم يتغير ولم يتبدل، وصدق الله القائل: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } (الحجر: 9).

السنة المبينة للقرآن وحفظها

(92) - رواه الترمذي وضعفه .

قال تعالى : { .. وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } (النحل: 44) ولقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم كتاب ربه للناس ، بأقواله ، وأفعاله وتقريراته ، ولقد حفظ الله هذا البيان النبوي فيما دونته الأمة في كتب السنة النبوية ، وقد حفظ الله سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بجعل الكثير من خلقه حافظين لها عن ظهر قلب ، عاقدين لها حلقات التدريس معلمين إياها كل من يجهلها ، حتى وجد في الأمة المحمدية من يحفظ عن ظهر قلب الألوف من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بأسانيدھا ، ودرجاتھا ، مثل : البخاري ، ومسلم ، ومؤلفي الأمهات الست ، وغيرها ، وذلك لأن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم مبنية للكتاب المبين ، وجزء من الدين ، الذي ينظم كامل السلوك اليومي للمسلم في صلاته ، وصيامه وزكاته وحجه وبيعته وشرائه وزواجه وطلاقه ، وعلاقاته بأسرته وجيرانه.. ، وما الذي يجب على المسلم نحو ربه وأمته.. وكل ذلك مدون مضبوط محفوظ .

- اختيار الله خير أمة لحفظ كتاب الله وسنة رسوله:

لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين ، فقد تكفل الله بحفظ الدين الذي بعث به إلى يوم القيامة من التبديل أو التحريف ، فهيأ الله لذلك صحابة رسول الله الذين قال الله تعالى فيهم : { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.. } (آل عمران: 110) ، وقال فيهم سبحانه : { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } (البقرة: 143) ووصفهم رسول الله بأنهم خير القرون .

وإذا كان السبب الرئيسي في التحريف والتبديل هو الهوى فإن الله قد هيا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تهيئة خاصة ليستقيموا على الدين ويحفظوه للعالمين ، قال تعالى : { وَاعْلَمُوا أَن فَبِكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ إِلِيمَانٌ وَزَيْنَةُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ } (الحجرات : 7) .
وبهذا الإعداد استحقوا أن يصفهم الله سبحانه بهذه الأوصاف .

- الصادقون المفلحون :

قال تعالى : { لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } (8) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (الحشر: 8، 9) .

- المؤمنون حقاً :

قال تعالى : { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ } (الأنفال: 74) .

- أشداء على الكفار رحماء بينهم الركن السجد :

قال تعالى : { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَرِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ } (الفتح: 29) .

(93) - "تبوءوا" توطنوا المدينة من المؤمنين . "الحاجة" : أي جراحة وحسداً . "خصاصة" : فقر واحتياج . "يوق" : يجنب . "شحن نفسه" : بخل نفسه مع الحرص .

(94) - الخلفاء الراشدون هم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، رضي الله عنهم ف هؤلاء هم أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم . فعاشته أم المؤمنين هي بنت أبي بكر وحفصة أم المؤمنين هي بنت عمر ، ورقية بنت رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله زوجها بعثان وبعد موتها زوجه بابنته الثانية أم كلثوم . ولذا كان يقال لعثمان : ذو النورين ، وزوج النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب بابنته فاطمة الزهراء سيدة نساء أهل الجنة ، كما زوج علي بن أبي طالب ابنته أم كلثوم بنت فاطمة الزهراء عمر بن الخطاب .

وكان هؤلاء الخلفاء الراشدون هم وزراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان كثيراً ما يستشيرهم في مهمات الأمور ، كما أنهم من السابقين الأولين إلى الإسلام بمكة وأولهم إسلاماً علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، ثم أبو بكر ثم عثمان ثم عمر رضي الله عنهم أجمعين ، وقد وردت فيهم أحاديث تدل على فضلهم على سائر الصحابة الأبرار .

وأخبر أن البر في هذا الإيمان ، فقال سبحانه : { لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ .. } (البقرة : 177) .

وإذا آمن الإنسان ببعض الرسل ولم يؤمن ببعض الآخر ، وفرق بينهم في الإيمان بهم فهو كافر ، قال سبحانه : { إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (150) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (151) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } (النساء: 150-152) .

- الحكمة من إرسال الرسل :

- 1 - أرسل الله الرسل لتعريف الناس بربهم وخالقهم ، ولدعوتهم على عبادة الله وحده والكفر بما يعبد من دونه ، قال تعالى : { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ⁹⁵ } (النحل: 36) وقال سبحانه : { وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ } (الزخرف: 45) وقال { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِي } (الأنبياء: 25) .
- 2 - أرسلهم لإقامة الدين ، وللحفاظ عليه ، والنهي عن التفرق فيه ، وللحكم بما أنزل الله ، قال تعالى : { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ } (الشورى: 13) وقال : { إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا } (النساء: 105) .
- 3 - أرسلهم لتبشير المؤمنين بما أعد لهم من نعيم مقيم جزاء طاعتهم ، وإنذار الكافرين بعواقب كفرهم وإسقاط كل عذر للناس ، وإقامة الحجة عليهم من ربهم ، قال تعالى : { رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِأَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا } (النساء: 165) .
- 4 - أرسلهم لإعطاء الأسوة الحسنة للناس في السلوك القويم والأخلاق الفاضلة والعبادة الصحيحة ، والاستقامة على هدى الله مثل قوله تعالى في نبينا : { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } (الأحزاب : 21) .
- 5 - أرسلهم الله لإنقاذ البشر من الاختلاف في أصول حياتهم ، وهدايتهم إلى الحق الذي يريد خالقهم ، قال تعالى : { وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } (النحل: 64) .
- 6 - أرسلهم لبيان الأعمال الصالحة التي تزكي النفس الإنسانية وتطهرها وتغرس فيها الخير ، قال تعالى : { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } (الجمعة: 2) .

صفات الرسل عليهم السلام

لا بد أن يكون كل واحد من الرسل عليهم الصلاة والسلام متصفاً بسمو الفطرة وصحة العقل والصدق في القول ، والأمانة في تبليغ ما عهد إليه بتبليغه ، والعصمة من كل ما يشوه السيرة البشرية ، وسلامة البدن مما تنبؤ عنه الأبصار ، وتنفر منه الأذواق السليمة وقوة الروح بحيث لا تستطيع نفس إنسانية أو جنية ، أن تسيطر عليه بسطوة روحية ، لأن الله يمدد بمدد منه .

وإنما لزمّت هذه الصفات للرسل لأنه لو انحطت فطرتهم عن فطرة خيرة أهل زمانهم ، أو مس عقولهم شيء من الضعف ، أو تضاعلت أرواحهم لسلطان نفوس أخرى أو ضعفت نفوسهم وإرادتهم عن تنفيذ أوامر الله ونواهيه والتزام طاعته ، أو كانوا عاجزين عن تبليغ جميع ما عهد به الله إليهم بتبليغه بسبب خوف أو طمع أو نسيان أو غير ذلك ، لو أصيبوا بنقص في شيء من هذا لما كانوا أهلاً لهذا الاختصاص الإلهي الذي يفوق كل

(95) - "الطاغوت" : كل معبود باطل يعبد من دون الله ، وكل داع إلى الضلالة .

اختصاص وهو : اختصاصهم بالوحي والكشف لهم عن أسرار علم الله التي أوحيت إليهم ، ولما كانوا أهلاً لهذا الاصطفاء الرباني، وكذا لو لم تسلم أبدانهم عن المنفرات لكان انزعاج النفوس لمن رآهم حجة للمنكر لدعواتهم.

أما فيما عدا ذلك فالرسول بشر يعتره ما يعترى سائر أفراد هذا النوع من المخلوقات ، فهو يأكل ويشرب وينام وينكح ، ويمرض وقد ينسى فيما لا علاقة له بتبليغ ما أمره الله بتبليغه ، وقد يخطئ في تصريف بعض الأمور الإنسانية التي تدخل في باب الاجتهاد المأذون به ، ولكنه ينبه للخطأ عن طريق الوحي حتى لا يكون الخطأ (بمقتضى وجوب التأسي به) هو الصواب ، وقد تمتد إليه أيدي الظلمة، ويناله الاضطهاد والتعذيب وقد يقتل منهم من لم يؤمر بالجهاد .

- الرسل السابقون :

منهم من قصه الله علينا ، فذكرهم بأسمائهم ، ومنهم من لم يقصه علينا ، قال سبحانه وتعالى : **{ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا }** (النساء: 164) ، فنؤمن بجميعهم تفصيلاً فيما فصل الله ، وإجمالاً فيما أجمل الله .

فأما الذين قصهم الله علينا فهم المذكورون في قوله تعالى: **{ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ }** (83) **{ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ }** (84) **{ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ }** (85) **{ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ }** (الأنعام: 83-84) ، وفي وقوله : **{ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ }** (آل عمران : 33) ، وفي وقوله : **{ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا }** (هود: 50) ، وفي وقوله : **{ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ }** (الأنبياء: 85) ، وقال : **{ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا }** (هود : 61) ، وقال : **{ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ }** (الأحزاب : 40) .

هؤلاء الرسل أرسلهم الله إلى الأمم في جميع العصور المتطاولة فلم تخل أمة من رسول يدعوهم إلى الله ويرشدهم إلى الحق ، يقول سبحانه وتعالى : **{ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ }** (النحل: 63) ، ويقول : **{ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ }** (فاطر : 24) وقال : **{ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ }** (الرعد: 7) .

محمد صلى الله عليه وآله وسلم

كان الرسل يبعثون إلى أممهم خاصة، كما قال تعالى : **{ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ }** (الرعد: 7) ، وبعث محمد صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة ، قال تعالى : **{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }** (الأنبياء: 107) وقال سبحانه: **{ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا }** (الفرقان: 1)

وكانت بينات الرسل ومعجزاتهم تتجلى لمن يشاهدها ، أو يسمع عنها سماعاً متواتراً ممن شاهدها ، وجعل الله بينة محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزاته المصدقة لرسالته ثابتة ومتجددة إلى قيام الساعة لتقوم بها الحجة على الناس.

ومحمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين فلا نبي بعده ، لذلك حفظ الله الدين الذي بعث به وحفظ بيناته ومعجزاته المصدقة برسالته صلى الله عليه وسلم⁹⁶ .

خامساً : الإيمان باليوم الآخر :

الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان العقيدة ، يجب التصديق به لا محالة ، ويدخل في ذلك : الإيمان بأشراط الساعة ، وأماراتها التي تكون قبلها لا محالة وبالموت وما بعده من فتنة القبر وعذابه ونعيمه ، وبالنفخ في الصور ، وخروج الخلائق من القبور ، وما في موقف القيامة من الأهوال ، والأفراح ، وتفصيل الحشر ، ونشر الصحف ، ووضع الموازين ، وبالصراف ، والحوض ، والشفاعة لمن أذن الله ، وبالجنة ونعيمها ، وبالنار وعذابها ، وغيرها من الأمور التي ورد ذكرها في القرآن أو في الصحيح من السنة .

الأدلة على الإيمان باليوم الآخر

- الأدلة العقلية :

1 - إخباره تعالى عن اليوم الآخر بقوله : { الم(1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } إلى قوله : { وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ } ⁹⁷ (البقرة: 1-4) وبقوله : { وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا } (النساء: 136) وقوله : { إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ(7) أُولَئِكَ مَاوَاهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } (يونس: 7، 8) . وقوله سبحانه وتعالى : { إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ(5) وَإِنَّ الَّذِينَ لَوَاقِعٌ } (الذاريات : 5، 6) وقوله : { وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ } (الحج: 7) ، وقوله تعالى : { زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } (التغابن : 7) ، وقوله : { أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ(4) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ(5) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ } (المطففين: 4-6) وقوله : { لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ(1) وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ(2) أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ(3) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ } (القيامة: 1-4) وقوله : { وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(38) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ(39) إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } (النحل: 38-40) . وغيرها من الآيات.

2 - إخباره صلى الله عليه وسلم لما قال له جبريل عليه السلام . أخبرني عن الإيمان ، قال : (أن تؤمن بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره) ⁹⁸ ، ونحو ذلك كثير كثير .

3 - اتفاق جميع الأديان السماوية ، وإيمان الملايين من الأنبياء ، والمرسلين ، والحكماء ، والعلماء ، والصالحين من عباد الله ، باليوم الآخر وبكل ما ورد فيه ، وتصديقهم الجازم بذلك .

1 - صلاح قدرة الله الخالق على إعادة الخلق بعد فنائهم ، لأن إعادتهم ليست بأصعب من خلقهم ، وإيجادهم على غير مثال سابق .
2 - تأكدنا من صدق الرسول صاحب الآيات والمعجزات التي تشهد للعقول بصدق رسالته ، وعلمنا أن الله أسرى برسول الله ، فرأى الجنة والنار ، وحمل إلينا كلام الله ، الذي خلق الحياة الدنيا ، والحياة الأخرى ، وأخبرنا عن الحياة التي تنتظرنا بعد موتنا .
فعلمنا بالدار الآخرة جاءنا من أوثق المصادر من الذي خلق الدنيا والآخرة ، ومن رسوله الذي رأى الجنة والنار ، ذلك وعد الله والله لا يخلف الميعاد .

3 - ولقد أخبرنا رسول الله بأمارات ستقع في الدنيا ، تكون علامة على قرب الساعة فشاهدنا الكثير منها . وما شاهدنا من علامات الساعة يؤكد لنا صدق ما أخبر الرسول به عن الساعة والآخرة ، وكما رأينا هذه العلامات في الدنيا حقاً بعد ألف وأربعمائة عام فسئرى الجنة والنار حقاً ، يقول

(97) - " لا ريب فيه " : أي لا شك فيه . " المتقين " : الذين يأتون بالواجبات ويجتنبون المحرمات والشبهات ، يتخذون ذلك وقاية من غضب الله وعذابه .

⁹⁸ - رواه البخاري ومسلم .

الله تعالى : { وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ } (الأعراف: 44).

4 - خالق الإنسان أكمل من الإنسان ، والإنسان يحب العدل، ولا شك أن الله هو الذي خلق حب العدل في الأولين والآخرين ، وما عدل الناس جميعاً إلا قبس من عدل الله ، فالله هو العدل الحكيم .

ومن العدل أن يثاب المحسن ، ويعاقب المسيء ، ولكن هذه الدنيا لا يتحقق العدل فيها - وقد علمنا عدل الله - لذلك تجزم العقول بأن الله لا بد أن يقيم موازين العدل في حياة أخرى ، قال تعالى : { أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ(35) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ } (القلم : 35، 36) .
ويقول سبحانه : { وَتَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا } (الأنبياء : 47) .

5 - وإذا نظرنا إلى خلق السماوات والأرض نجد أن كل شيء قد وضع في مكانه اللائق به ، فالسماوات وما فيها من نجوم وكواكب ، وليل ونهار ، والأرض وما فيها من نبات وحيوان ، وإنسان ، وجماد ، وكل شيء قد وضع في مكانه اللائق به بالحق .

فالقلب في مكانه ، والعين في مكانها ، والورقة في مكانها على الشجرة ، والزهرة في مكانها ، وهكذا . ولا نجد مخالفة للحق في الأرض إلا في حال الإنسان ، فنجد الظالم في مكانه ، وقد نجد النبي المرسل مطارداً يؤذيه السفهاء .

فلماذا لا نرى الحق قائماً في حياة الناس ، كما قام في خلق الأرض والسماوات؟!

إن العقول تدلنا على أن الذي خلق السماوات والأرض بالحق ، لا بد أن يقيم الحق في أحوال الناس ، وإذا كان هذا لا يكون في الدنيا نظراً لكونها دار ابتلاء وامتحان .. فلا بد أنه يتحقق في الدار الآخرة ، قال تعالى : { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ(21) وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } (الجنات:22، 21) .

6 - وإذا تأمل الإنسان كيف حفظه الله ولم يضعه وهو نطفة من ماء مهين ، أو هو علقه كما تولى الله حفظه سبحانه طوال حياته ، من تأمل هذا تأكد أن الله لا يضيع الإنسان بالموت ، ويجعله يذهب سدى ، فالحكيم الذي يحفظ الأجزاء الصغيرة لا يضيع الخلقة التامة ، قال تعالى : { أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى(36) أَلَمْ يَكُنْ نَاطِقًا مِنْ مِّنَىٰ يَمْنَى(37) ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ فُتُلُوكَ فَسَوَىٰ(38) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى(39) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى } (القيامة: 36-40) .

الحياة البرزخية

يؤمن المسلم بأن نعيم القبر وعذابه ، وسؤال الملكين فيه حق وصدق ، للأدلة الآتية :

- الأدلة النقلية :

قال تعالى : { كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ⁹⁹ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ } (المؤمنون: 100) ، وقال تعالى : { ... وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ(45) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ }¹⁰⁰ (غافر: 45، 46) ، وقال تعالى : { يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ .. } (إبراهيم : 27) وقد ورد أن التثبيت في الحياة يكون عند سؤال الملكين في القبر ، وقال تعالى : { وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ¹⁰¹ } (الأنعام:93).

⁹⁹ - "برزخ" : أي حاجز فلا يرجع إلى الدنيا إلى يوم يبعثون .

¹⁰⁰ - "حاق" : أحاط . "غدوا وعشيا" : أي صباحاً ومساءً في الدنيا .

¹⁰¹ - "الهون" : الهوان الشديد والذل البالغ النهاية .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (إن العبد إذا وضع في قبره ، وتولى عنه أصحابه ، فإنه يسمع قرع نعالهم ، أتاه ملكان ، فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له : انظر إلى مقعدك في النار ، قد أبدلك الله به مقعداً في الجنة ، فيراهما جميعاً ، فيفسح له في قبره ؛ وأما المنافق أو الكافر ، فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ، فيقول : لا أدري ، كنت أقول ما يقول الناس ، فيقال له : لا دريت ولا تليت ، ويضرب بمطارق من حديد ضربة ، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين) وقال صلى الله عليه وسلم : (إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، إن كان من أهل الجنة ، فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار ، فمن أهل النار ، فيقال : هذا مقعدك ، حتى يبعثك الله يوم القيامة) .. وقال - عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم - لما مر بقبرين : (إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله) وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه : (اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ، ومن عذاب النار ، ومن فتنة المحيا والممات) وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة البالغة حد التواتر .

- الأدلة العقلية :

- 1 - الإيمان بالله ، وملائكته ، كتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، يستلزم الإيمان بعذاب القبر ، ونعيمه ، وكل ما يجري فيه ، لأن الكل من الغيب ، فمن آمن بالبعث لزمه عقلاً الإيمان بالبعث الآخر .
 - 2 - ليس عذاب القبر أو نعيمه وما يقع فيه من سؤال الملكين مما ينفيه العقل أو يجعله مستحيلًا بل العقل يقره ويشهد به .
- إن النائم قد يرى الرؤيا بما يسره فيتلذذ بها ، وينعم بتأثيرها في نفسه ، الأمر الذي يحزن له أو يأسف إن هو استيقظ .. كما أنه قد يرى الرؤيا بما يكره فيستاء لها ويغتم ، الأمر الذي يجعله يحمد من أيقظه ، فهذا النعيم ، أو العذاب في النوم يجري على الروح حقيقة ، وتتأثر به ، وهو غير محسوس ، ولا مشاهد لنا ، ولا أنكره أحد ، فكيف ينكر إذن عذاب القبر أو نعيمه؟

أحوال يوم القيامة

نشاهد أحوال يوم القيامة من خلال الآيات القرآنية ومنها قوله تعالى : { إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (1) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (2) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (3) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (4) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (5) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (6) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (7) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (9) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (10) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (11) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (12) وَإِذَا الْجَنَّةُ أَزْلِفَتْ }¹⁰² (التكوير: 1-13) ، وقوله : { إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (1) لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ (2) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (3) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا (4) وَيُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (5) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا }¹⁰³ (الواقعة: 1-6) ، وقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1) يَوْمَ تَرَوْنها تَدْهَلُ¹⁰⁴ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ } (الحج: 1 ، 2) ، وقوله تعالى : { فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ¹⁰⁵ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ (35) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (36) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ } (عبس: 33-37) إلى آخر الآيات. (يرجع في تفسير ما سبق من الآيات إلى كتب التفسير) .

102 - " كورت " : طويت ولفت . " انكدرت " : تساقطت وتهافت . " سيرت " : أزيلت من أماكنها " العشار " : النوق الحوامل . " عطلت " : أهملت بلا داع من شدة الهول . " حشرت " : جمعت من كل مكان . " سجرت " : أوقدت فصارت ناراً تضطرم . " زوجت " : قرنت كل نفس بشكلها . أو دخلت الأرواح في أجسامها . " الموءودة " : البنت تدفن حية . " كشطت " : قلعت كما يقلع السقف . " سمرت " : أوقدت وأضرمت للكافر . " أزلفت " : قربت وأدنت من المتقين .

103 - " وقعت الواقعة " : قامت القيامة بالنفخ في الصور . " خافضة رافعة " : خافضة للأشقياء بدخول النار ورافعة للسعداء بدخول الجنة . " رجت " : زلزلت وحركت تحريكاً شديداً . " وبست " : فتتت فتاً . " هباء منبثاً " : غباراً منتشراً .

104 - " تدهل " : تغفل وتشغل لشدة الهول .

105 - " الصاخة " : الصيحة تصم الأذن لشدتها وذلك عند النفخة الثانية من الصور .

الجنة والنار

- الجنة :

هي دار الموحدين ، ودار الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ودار الذين اتقوا ربهم، ودار عباد الله المخلصين، ودار الذين يخافون ربهم ، ودار الموفين بعهد الله إذا عاهدوا ، ودار المجاهدين في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم ، ودار التائبين العابدين الحامدين الساجدين ، الأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر .

وقد بين الله تفصيلاً في كتابه العزيز الجنة ونعيمها ، وأنهارها ، وأشجارها ، وثمارها ، وطعامها ، وشرابها ، وثيابها ، وحللها ومسكنها وغرفها وحورها، وذكر أن نعيمها لا يشبه نعيم الدنيا ، قال جل شأنه : **{ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }** (السجدة: 17) . وقال النبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى : (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)¹⁰⁶ .
- والنار :

هي دار الكافرين ، والمستكبرين عن طاعة الله وعبادته، وقد وصف الله وقودها ونيرانها المتأججة ، ووصف طعامها وشرابها ، ووصف عذابها بما يدخل الرعب في قلوب المجرمين وبما يخوف الله به كل متكبر جبار أثيم ، ليرتدع عما هو فيه .
وأهون أهل النار عذاباً من له نعلان ، أو شراكا من نار يغلي منهما دماغه ، كما يغلي المرجل، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً يوم القيامة .
ومن أراد التفصيل في أوصاف الجنة والنار فعليه بمطالعة كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم يجد فيهما الكثير الكافي .

ثمرة الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر يجعل لحياتنا غاية سامية ، وهدفاً أعلى وهذه الغاية هي فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، والتحلي بالفضائل ، والتخلي عن الرذائل الضارة بالأبدان ، والأديان ، والأغراض ، والعقول ، والأموال .

كيف يكون البعث ؟

- الأصول التي ركب منها الإنسان :

يتكون الإنسان من ثلاثة أشياء:

- 1- الأصل الذي يتناسل من آدم عليه السلام وجاء مع النطفة (البذرة).
- 2- التراب الذي جاء في صورة طعام ، فمني به الأصل الذي تناسل من آدم ، وكون الجسم الآدمي .
- 3- الروح التي نفخت في الجنين وهو في بطن أمه .

- فترة الامتحان ونهايتها :

وبامتزاج هذه العناصر الثلاثة بأمر الله يوجد الإنسان الحي الذي يقضي فترة الامتحان في هذه الدنيا ، قال سبحانه : **{ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا }** (الملك: 2) .. فإذا جاء أجل انتهاء الامتحان ووقت الخروج إلى دار الجزاء جاء الموت ، قال تعالى : **{ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَنَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ }** (الأعراف: 34) ، وقال تعالى : **{ وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا }** (المنافقون: 11) .

¹⁰⁶ - في الصحيحين بطرق مختلفة . انظر الأحاديث القدسية ص 67 .

- بالموت تعود الأصول إلى حالتها الأولى :

وبالموت يعود التراب الذي تكون منه الجسد ، إلى أصله ، قال تعالى : **{ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيزٌ }** (ق: 4) ويبقى من الجسد عجب الذنب (البذرة) وهو الجزء الذي يركب الإنسان عند التكوين ، وهو شيء صغير جداً ، وهذا الجزء لا تأكله الأرض ولا يبلى قال عليه وآله الصلاة والسلام: (كل ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب ، منه خلق وفيه يركب)¹⁰⁷ .
وأما الروح فتعود إلى حيث شاء الله إلى يوم القيامة .

- وعند البعث تجتمع الأجزاء الثلاثة مرة ثانية :

فإذا جاء موعد البعث ينزل الله مطراً من السماء تنبت به الأصول (البذور) أي عجب الذنب الذي لم يبلى ، قال عليه وآله الصلاة والسلام : (.. ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ، وليس من الإنسان شيء إلا بلى إلا عظم واحد وهو عجب الذنب منه يركب الخلق يوم القيامة)¹⁰⁸ .
وشبيه بهذا ما يحدث في الدنيا ، فانت ترى الأشجار تتحطم إذا جاء الجفاف، فلا يرى الإنسان للأشجار والنباتات أي بقية إلا البذرة التي تكون مدفونة تحت التراب، أو الأحجار ولا تراها العيون ، فإذا نزل المطر انفلقت تلك البذور وأنبتت الأشجار وسائر النباتات ، قال تعالى : **{ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ }** (الروم: 19) . وقال عليه وآله الصلاة والسلام للذي سأله قاتلاً : يا رسول الله كيف يعيد الله الخلق وما آية ذلك؟ فقال صلى الله عليه وسلم : (أما مررت بوادي قومك جدياً ثم مررت به يهتز خضراً ؟ قال : نعم ، قال : فتلك آية الله في خلقه، كذلك يحيي الله الموتى) .

فإذا نبت عجب الذنب من التراب ، وعاد الجسد جاءت كل روح إلى جسدها ، ولذلك قال تعالى : **{ وَإِذَا النُّفُوسُ رُوِّجَتْ }** (التكوير: 7) .
وهكذا يعود الخلق مرة ثانية كما بدأ أول مرة ، قال تعالى : **{ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ }** (الأنبياء: 104) .

- الرد على المكذبين باليوم الآخر :

نكتفي في الرد على المكذبين باليوم الآخر بما رد الله عليهم بقوله : **{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنَبِّينَ لَكُمْ وَنَقَرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِئَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(6) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ(7) وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ(8) ثَانِي عِطْفُهُ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيفُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابُ الْحَرِيقِ(9) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ }** ¹⁰⁹ (الحج: 5-7) وبقوله تعالى : **{ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ(77) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَتَسَى خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ(78) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ(79) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ(80) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ(81) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ }**

¹⁰⁷ - رواه البخاري ومسلم والنسائي ، ومالك في الموطأ ، وأبو داود .

¹⁰⁸ - أخرجه البخاري ومسلم ومالك في الموطأ وأبو داود والنسائي .

¹⁰⁹ - "النطفة" : المنى . "العلقة" : قطعة دم جامدة على شكل العلقة لها راس وذنب . "مضغة" : قطعة لحم قدر ما يمضغ . "مخلقة" : مستبينة الخلق مصورة . "أشدكم" : كما قوتكم وعقلكم . "أردل العمر" : الخوف والهزم بحيث لا يعلم ولا يعقل شيئاً . "هامة" : ميتة يابسة قاحلة . "ربت" : ازدادت وانتفخت . "بهيج" : حسن نصير . "لأريب فيها" : لا شك فيها . "يبعث" : يخرج الموتى من قبورهم بأجسامهم كاملة بلحمها وعظمها وعصبها وعروقها كما بدأهم أول مرة . وهذا هو الفرق بين البعث عند اليهود والنصارى الذين يقولون - تحريفاً وزوراً - بالبعث الروحاني وبين البعث عند المسلمين الذين يعتقدون بالبعث الجسماني مع الروح.

كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }¹¹⁰ (يس : 77-83) وبقوله تعالى : { ق وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ(1) بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ(2) أَبَدًا مِثْنًا وَكُنَّا ثَرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ(3) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيزٌ(4) بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ(5) أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ } (ق:1-6) .

سادساً : الإيمان بالقدر :

- معنى القدر :

شاء الله أن يخلق الخلاق وقضى أن تكون بأقدار وأوصاف محددة ، قال تعالى : { وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا }¹¹¹ (الفرقان : 2) وهو العليم بما سيكون في مخلوقاته فأمر القلم أن يكتب في اللوح المحفوظ ، ما هو كائن إلى يوم القيامة ، قال تعالى : { أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } (الحج : 70) ، وكل ما في الوجود من حركات وسكنات ما يشاء إنما هو كائن بمشيئة الله سبحانه قال تعالى : { يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ } (الروم : 54) ولا يحدث شيء إلا بقدره الله ومشيئته ، قال تعالى : { وَلَوْ تَقَوَّلَ لِشَيْءٍ إِنَِّّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا(23) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ.. } (الكهف : 23، 24) . فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

- الإيمان بالقدر :

والإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان كما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل بقوله : (وأن تؤمن بالقدر خيره وشره) ، ولا يستطيع الإنسان أن يحيط علماً بأسرار الله سبحانه ، إلا إذا كان علمه كعلم الله - وهذا أمر مستحيل - ألا ترى إلى ما يقوم به الأطباء والخبراء ، والمهندسون من أعمال ، لا يعرف غيرهم تمام الحكمة منها إلا من بلغ من علمه درجة علمهم؟ ولو رأى أحد الجهال مثلاً طبيباً يفتح بطن مريض ويقص الأمعاء ، لكان من أشد الناس اعتراضاً ، لكنه عندما يعرف أن الطبيب حكيم في تصرفاته ، خبير في عمله فإنه يتنازل عن رأيه واعتراضه ، معترفاً بجهله أمام علم الطبيب . والمؤمن يعرف لربه الكمال الأعلى الذي يليق به فتراه مؤمناً بأن كل عمل لا يحدث إلا وله حكمة ، وإذا غابت عنه الحكمة الإلهية في أمر من الأمور عرف جهله أمام علم الله وترك الاعتراض على الحكيم ، الخبير ، العليم القائل : { لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } (الأنبياء:23) .

- من ثمار الإيمان بالقدر :

من آمن أن الله خلق كل شيء بقدر تراه حريصاً على معرفة أقدار الخير ليدفع بها أقدار الشر ، فهو يدفع قدر الجوع بقدر الطعام ، وقدر المرض بقدر الدواء ، وقدر الفقر ، بقدر السعي في طلب الرزق . ومن آمن بقدر الله سبحانه تراه لا يأسى على ما فاتته ، ولا يصيبه اليأس بسبب كثرة المصائب ، ولا يفترح ، أو يتكبر مهما أوتي من حظوظ ، مؤمناً بقوله تعالى : { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ(22) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ }¹¹² (الحديد : 22، 23) .

¹¹⁰ - "خصيم" : مبالغ في الخصومة بالباطل. "رميم" : بالية أشد البلاء. "ملكوت" : أي الملك كله لا يفلت من ذلك مثقال ذرة ولا أصغر.

¹¹¹ - "فقدرة" فهيأه لما يصلح له ويلفت به بأحكام وإتقان بدیع .

¹¹² - "نبرأها" : نخلقها . "لا تأسوا" : تحزنوا . "ولا تفرحوا" : فرح بطر واختيال. "مختال" متكبر مباه متناول بما أوتي من فضل الله .

ومن آمن بقدر الله سبحانه وقدرته ومشينته ، وعرف عجزه وحاجته إلى خالقه ، تراه صادقاً في توكله على ربه ، يأخذ بالأسباب التي قدر الله أقدارها ، ويطلب من ربه العون على ما أعجزه منها ، يردد في يقين قول الله: { قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } (التوبة : 51) .

شبهتان

- الشبهة الأولى :

يزعم بعض الجهلة أن الله هو الذي أضلهم وأرغمهم على عدم الصلاة والصيام وسائر الطاعات ، وهدى غيرهم ، متذرعين بقول الله سبحانه لرسوله : { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } (القصص: 56) .
إن الذين يرددون هذه الشبهة لم يعلموا أن الهداية قسمان :

1-هداية إرشاد .

2-هداية إعانة .

أما هداية الإرشاد فهي كمن يدللك على الطريق الذي يوصلك إلى البيت الذي تريد ، ثم يتركك فهو قد هداك إلى الطريق وأرشدك .
ورسل الله يقومون بهذه الهداية للبشرية ، فهم يرشدون الناس إلى الطريق الذي يوصلهم إلى الجنة ، قال تعالى مخاطباً رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : { وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } (الشورى:52).

أما هداية الإعانة ، فمثلاً كمثل شخص كريم رحيم ودود ، سألته عن الطريق إلى البيت الذي تريد ، فأرشدك إليه ، فطلبت منه العون، فحملك على سيارته ، وأخذ بيدك إلى هدفك ، فهذه هداية إعانة . وهذه لا تكون إلا لشخص قبل هداية الإرشاد وطلب العون .
وإذا كان الرسل يقومون بهداية الإرشاد لا يملكون هداية التوفيق والمعونة لأن الله سبحانه لا يعطيها إلا لمن شاء ، قال تعالى مخاطباً نبينا محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم: { .. إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ .. } (القصص: 56) ، فهو العادل الذي يهدي من قبل هداية الإرشاد بهداية التوفيق والإعانة ، قال تعالى : { وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ } (محمد: 17) .
ولا يضل سبحانه إلا من يشاء إضلاله ممن رفض هداية الإرشاد ، وزاغ عن الطريق، قال تعالى : { فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } ¹¹³ (الصف:5) .

- الشبهة الثانية :

يقول بعض الجهلة : إن ما كتبه الله في اللوح ، هو الذي جعل تارك الصلاة تاركاً للصلاة ، وجعل المصلي مصلياً ، وهذا وهم لأن المصلي يقوم إلى الصلاة باختياره ، دون إجبار ، وتارك الصلاة يتركها دون إكراه أو إجبار ، وهذا ما يعرفه كل إنسان، لأن الله أراد أن يخلق الإنسان وله حرية واختيار .

أما إذا سأل السائل : كيف لا يكون ما قد كتب في اللوح مخبراً للإنسان على العمل، مع أنه قد كتب منذ الأزل؟ فنقول : إن الأمر سهل ، يوضحه هذا المثال:

ألا ترى أن الأستاذ الذكي الخبير بأحوال طلابه ، الذي يضع أسئلة الامتحان، لو أنه كتب في ورقة ، أسماء من هو متأكد أنهم سيرسبون في الامتحان ، وبين أسماء من هو متأكد من نجاحهم ، ثم جاء الامتحان وظهرت النتيجة ، ثم جاء الذين رسبوا محتجين بقولهم: إن ما كتبه الأستاذ

¹¹³ - "زاعوا" : مالوا عن الحق باختيارهم . "أزاع الله قلوبهم" : حرهم التوفيق لاتباع الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم .

علينا في الورقة بأننا سنرسل هو السبب في رسوبنا! فهل سيقبل عذرهم؟ أم أنه سيقال لهم: إن ما كتبه الأستاذ في الورقة أمر يتعلق بعلمه وخبرته السابقة بأحوالكم . ورسوبكم متعلق بإهمالكم ، فلا تعتذروا لإهمالكم بعلم الأستاذ وخبرته - (ولله المثل الأعلى) - فهو سبحانه خالق الخلق ، وهو العليم بأحوالهم ، قال تعالى : **{ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ }** (المك:14) ، ولقد خلقنا الله سبحانه لقضاء فترة الامتحان على هذه الدنيا وهو جل شأنه يعلم نتيجة الامتحان ، فكتب الشقاء على الأشقياء ، وكتب السعادة للسعداء ، حسب علمه المحيط بما كان وما سيكون . وربما أخطأ الأستاذ في تقديره لنتائج طلابه ، لكن قدر الله لا خطئ في تقديره لأعمال خلقه ، والكتابة في اللوح أمر متعلق بعلم الله السابق ، فترك الصلاة مثلاً أمر متعلق بتمرد وإهمال ومعصية تارك الصلاة . وقد أراد الجاهلون أن يعتذروا للمعصية والضلال بعلم الله وكماله . إن علم الله سابق لا سائق ، ولقد أخبر الله رسوله بما هو كائن إلى يوم القيامة، ورأينا فيما سبق في علامات الساعة ، أن كثيراً من الأشياء التي ذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم وكتبها المسلمون في كتب الحديث ، تقع الآن . فهل يزعم شخص : أن كتابة المسلمين لما يحدث الآن هو الذي أحدثها؟ إن العلم سابق، لا سائق .

مقتضيات الإيمان

1 - التصديق بكل ما جاء من عند الله :

فالمؤمن يصدق بكل ما أخبر به الله سبحانه وتعالى في كتابه ، أو على لسان رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم تصديقاً جازماً لا يخالطه شك ولا ريب .

والمؤمن يؤمن أن كل ما خالف أو يخالف ما أخبر به الله سبحانه فهو باطل مهما زينه أصحابه أو زيفوه ، وذلك لأنه يؤمن بأن الدين من عند الله العليم ، الحكيم الذي أحاط بكل شيء علماً ، قال الله تعالى : **{ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (7) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ }** (التين:7، 8).

2 - طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم :

وذلك أن من آمن بالله ورسوله ، وتيقن أن وعد الله حق ، وأن الله عز وجل قد رتب الأجر والثواب على طاعته وطاعة رسوله، والامتثال لأوامره وأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم فإن إيمانه بذلك يلزمه الاستسلام لأوامر الله ورسوله فالمؤمن يتحرى في كل عمل يعمل أن يكون عمله موافقاً لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى : **{ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا }** (النساء: 69) وقال تعالى : **{ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا }** (النساء: 80) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى) قيل : ومن أبى ؟ قال : (من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى)¹¹⁴ .

3 - أداء الفرائض :

فالقلب إذا عمر بالإيمان فإن ذلك يقتضي أن تتبع الجوارح بالأعمال الصالحة، والاجتهاد في أداء الفرائض. وأما من لا يؤدي الفرائض ، ويدعي أنه مؤمن فلا شك أنه كاذب قد خدعه الشيطان ، وزين له سوء عمله، فلو أن قلبه صلح بالإيمان لصلح جسده كله بأداء الفرائض ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسد فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب)¹¹⁵ .

4 - القيام بالواجبات والانتها عن المحرمات :

¹¹⁴ - رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة .

¹¹⁵ - متفق عليه .

ولا يتم إيمان المرء إلا بقيامه بما أوجبه الله عليه ، وانتهائه عما حرمه الله عليه ، طبقاً لما جاءنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى : { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } (الحشر: 7) .

5 - التوبة والاستغفار :

إن المؤمن إذا استزله الشيطان ببعض ما كسب فأوقعه في شيء مما حرمه الله عليه فإنه يسارع إلى التوبة وذلك بالندم على ما فرط في جنب الله ، ولا يصبر على معصيته ، ويطلب المغفرة من الله ، قال الله تعالى في وصف عباده المؤمنين : { وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ }¹¹⁶ (آل عمران: 135) وقال تعالى : { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } (الزمر: 53) .

6 - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مقتضيات الإيمان ومن صفات المؤمنين ، قال الله تعالى : { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ } (التوبة: 71) .. والارتباط بين قوة الإيمان من قلب المؤمن ، وقيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ارتباط وثيق ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان)¹¹⁷ . في رواية : (ليس وراء ذلك حبة خردل من إيمان) .

والؤمن لا يفرط في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لأنه إذا ترك هذه الفريضة فإن مصيره إلى الخسران ، فضلاً عن أن يظل من المؤمنين الصادقين ، قال الله تعالى : { وَالْعَصْرُ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَّوْا بِالصَّبْرِ } (العصر: 1-3) .

7 - دعوة الناس إلى دين الله وجهاد الصادين عن سبيل الله :

إن العبد إذا ذاق حلاوة الإيمان ، وتمكن حب الله في قلبه ، فإنه يسعى جاهداً في أن يبعد نفسه وأهله والناس جميعاً من ظلمات الكفر والإلحاد والغفلة إلى نور الإيمان والقرآن والهداية ، فهو يدعو إلى الله محتملاً أذى الناس ، محتسباً الأجر والثواب عند الله سبحانه ، قال الله تعالى : { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } (فصلت: 33) وقال تعالى : { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (يوسف: 108) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً)¹¹⁸ .

وأما أولئك الذين يصدون عن سبيل الله ، ويقفون حائلاً بين الناس وبين الدخول في دين الله ، فإن المؤمن مكلف بأن يجاهدهم ، حتى يمكن لدين الله في الوصول إلى كافة الناس ، فيؤمن من آمن عن بينة ويهلك من هلك عن بينة قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُجِيعُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (10) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (11) يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ } (الصف: 10-13) . وقال تعالى : { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ } (الأنفال: 39) .

8 - موالاة المؤمنين والتبرؤ من الكافرين :

¹¹⁶ - "فاحشة" : معصية كبيرة متناهية في القبح كالقتل بغير حق والربا وأكل مال اليتيم وغير ذلك . "ولم يصروا" : ولم يستمروا على فعل المعاصي بل أقلعوا عنها وندموا على ما فات وعزموا على عدم العودة إلى الذنوب التي تابوا منها .

¹¹⁷ - رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري .

¹¹⁸ - رواه مسلم وغيره من أبي هريرة رضي الله عنه .

الولاء : هو حب وود ومناصرة وتأييد المؤمن لأخيه المؤمن ، ومن أهم مقتضيات الإيمان أن يستكمل المؤمن ولاءه لإخوانه المؤمنين ، ولا يعطي المؤمن ولاءه على غير أساس الإيمان . قال الله تعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ}(55)وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} (المائدة: 55، 56) وقال تعالى : {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (التوبة: 71) .

وقد جعل الله للمؤمنين أسوة حسنة في التبرؤ من الكافرين ، قال الله تعالى : { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ } (الممتحنة:4).

نواقض الإيمان

أولاً : الكفر وأنواعه

أ - كفر التكذيب :

وهو اعتقاد كذب الرسول صلى الله عليه وسلم في أي شيء مما جاء به ، قال الله تعالى : { وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ}(25)ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ } (فاطر: 25، 26) .

ب - كفر إباء واستكبار :

وهو مثل كفر إبليس ، فإنه لم يجحد أمر الله ، ولا قابله بالإنكار ، وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار ، وهو مثل حال من يعلم أن دين الإسلام هو دين الحق الذي لا يقبل الله سواه، والذي فيه صلاحه في الدنيا والآخرة ، ثم يتركه ، ويتخذ له ديناً أو مذهباً من صنع البشر، قال الله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} (البقرة: 34) .

ج - كفر الإعراض :

وهو الإعراض عما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يصدقه ولا يكذبه ولكنه يعرض عنه قال الله تعالى : { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ آيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ } (السجدة: 22) .

د - كفر الشك :

وهو الذي يشك في ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يجزم بصدقه ولا يكذبه، قال الله تعالى : { وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ } (إبراهيم: 9) .

هـ - كفر الجحود :

وهو أن يجحد جملة ما أنزله الله ، أو يجحد شيئاً مما هو معلوم بالضرورة من الإسلام، قال تعالى : { وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ } (النمل: 14) .

وقال تعالى : { قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ } (الأنعام: 33) .

ثانياً : الشرك وأنواعه

قال تعالى : { وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَكَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } (الزمر: 65) وقال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا } (النساء: 48) والشرك يتناقض مع الإيمان، وهو أنواع :

أ - شرك من يؤمن بالله ولكنه يجعل له شريكاً في الملك والتصرف في المخلوقات: خلقاً، وحياءً، ورزقاً، وموتاً، وضراً ونفعاً : وهذا الشرك كشرك النصارى والمجوس ، إذ يعتقد النصارى أن الله ثالث ثلاثة - سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً - ويعتقد المجوس أنه ثاني اثنين - تعالى الله عما يقولون - قال الله تعالى : { الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلِداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا } (الفرقان:2).

ب - شرك من يصف نفسه أو غيره بصفات الألوهية : وهي الصفات التي لا تكون إلا لله كقول فرعون: { فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى } (النازعات: 24) ، أو من يجحد صفة من صفات كمال الله عز وجل ، كقول فرعون : { وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ } (الشعراء: 23) ، وقول كفار قريش كما قال الله تعالى : { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا } (الفرقان : 60) وقال تعالى : { وَهُمْ يَخْفَرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابُ } (الرعد: 30) .

ج - شرك من يعبد غير الله بأي لون من ألوان العبادة: قال تعالى : { وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا } (النساء: 36) وقال تعالى : { قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونَنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ } (الزمر: 64) وقال تعالى : { وَلَقَدْ أَوْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ(65)بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ } (الزمر: 65، 66) .

ثالثاً : الردة

قال تعالى : { وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَتَ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } (البقرة:217) .

والمرتد هو من ترك دين الإسلام وهو عاقل ، مختار ، غير مكره إلى دين آخر، كالنصرانية ، أو اليهودية ، أو إلى غير دين كالشيوعية ، أو أنكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة كوجوب الصلاة والزكاة ، أو عمل أعمالاً فيها استهزاء بالإسلام ومناهجه المعلومه، أو قال قولاً لا يحتمل تأويلأ غير الكفر .

بماذا تحصل الردة؟

أ - ردة الاعتقاد ومنها ما يلي:

- 1- اتفق علماء الإسلام على أن من أشرك من المسلمين بالله أو جحد به ، أو نفى صفة ثانية من صفاته كالقدوة والإرادة ، أو أثبت له شيئاً أنكره كالولد ، أو كذب بالملائكة أو الكتب أو الرسل ، أو اليوم الآخر ، أو القدر خيره وشره ، أو أي أمر علم من الدين بالضرورة فهو مرتد كافر .
- 2 - من المعروف أنه مرتد من جحد من المسلمين القرآن كله أو بعضه ولو آية منه ، كما تكون الردة باعتقاد تناقض القرآن واختلافه ، أو الشك في إعجازه ، أو دعاء القدرة على الإتيان بمثله ، أو إسقاط حرمة ، أو الزيادة فيه ، أو النقص منه .
- 3 - يعتبر كافراً مرتداً من اعتقد كذب النبي صلى الله عليه وسلم في بعض ما جاء به ومن اعتقد حلَّ شيء مجمع على تحريمه كالزنا وشرب الخمر .

ب - ردة الأقوال ، ومنها ما يلي:

1 – من حلف بغير ملة الإسلام كاذباً ، فعن ثابت بن الضحاك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من حلف على يمين بملة غير الإسلام كاذباً فهو كما قال)¹¹⁹ .

وعن بريدة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قال : إني بريء من الإسلام فإن كان كاذباً فهو كما قال ، وإن كان صادقاً لم يعد إلى الإسلام سالماً)¹²⁰ .

2 – من سب الله تعالى ، أو القرآن ، أو الرسول ، أو أحداً من الأنبياء فقد كفر سواء كان مازحاً أو جاداً ، أو مستهزئاً ، قال الله تعالى : **{ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ } (65) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ { (التوبة: 65، 66).**

3 – أجمع العلماء على أن من رمى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بحديث الإفك الذي برأها الله منه فليس بمؤمن ، قال سبحانه : **{ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا نَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ } (11) لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ { (النور: 11: 12) إلى قوله : { يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ { (النور: 17) فمن عاد فليس بمؤمن .**

4 – الطعن في الدين ، فمن هاجم الإسلام وطعن في دين الله ، أو دعا إلى مبدأ إلحادي أو كفري ، فهو مرتد ، قال تعالى : **{ وَإِنْ تَكْفُرُوا أَيمَانُهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَنِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ { (التوبة: 12) .**

ج - ردة الأفعال - ومنها ما يلي:

1 – أجمع العلماء على أن مما يوجب كفر المسلم إلقاء المصحف أو جزء منه أو تلطيخه بالقدس ، ومثله كتب الحديث القدسي والنبوي ، وكذا من استخف بالقرآن ، قال تعالى : **{ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ { (التوبة: 65) .**

2 – اتفق العلماء على أن من سجد من المسلمين لصنم أو شمس أو قمر ، أو أتى بقول ، أو فعل صريح يدل على الاستهزاء بالدين فقد ارتد.

3 – من هرب من المسلمين إلى دار الحرب (وهي بلاد الكفار الذين يحاربون المسلمين) مختاراً ، محارباً للإسلام فقد كفر ، وذلك لقوله تعالى : **{ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَبِإِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ { (المائدة: 51) ولنهييه صلى الله عليه وسلم عن ذلك وبرأته منه.**

4 – من حارب الشريعة الإسلامية من المسلمين ، واستبدلها بالقوانين البشرية تعطيلاً للأحكام الشرعية فقد كفر ، قال الله تعالى : **{ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ { (المائدة: 44) .**

رابعاً النفاق :

وهو أن يظهر الإنسان للمسلمين إيمانه وهو في الباطن كافر مكذب . والنفاق في العقيدة كفر غير أن صاحبه لا يعامل معاملة الكافرين لعدم إظهار كفره ، قال الله تعالى : **{ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ { (المنافقون: 1) وقال تعالى : { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ { (المنافقون: 3) .**

وهناك نفاق عملي غير النفاق في العقيدة مثل : خيانة الأمانة والكذب ، وخلف الوعد ، ولا يعتبر المنافق بالنفاق العملي كافراً ، ولكنه يكون فاسقاً عاصياً فيه شعبة من نفاق .

صفات المنافقين

119 - رواه الجماعة إلا أبا داود .

120 - رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وإسناده حسن .

121 - "الإفك" : الكذب . "عصبة" : من العشر إلى الأربعين .

ومن أبرز صفات المنافقين ما يلي:

أ - الإفساد في الأرض بتهديم شريعة الله واتهام المؤمنين بالسفه :

قال الله تعالى في وصف المنافقين : { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تَفْسُدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنْوْمُنْ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ¹²² أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ } (البقرة: 11-13) .

ب - خداع المؤمنين بإظهار الإيمان إذا قابلوهم ، ثم إظهار الكفر مع أوليائهم:

قال الله تعالى : { وَإِذَا لَفُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا ¹²³ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ } (البقرة: 14) .

ج - الإعراض عن التحاكم إلى شرع الله وصد الناس عن الحكم بما أنزل الله :

قال الله تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (60) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا } ¹²⁴ (النساء: 60)، (61) .

د - الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف :

قال الله تعالى : و { الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } ¹²⁵ (التوبة: 67) .

هـ - اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين :

قال الله تعالى : { بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (138) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِيتُّونَ عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا } (النساء: 138، 139) .

و - معاداة المؤمنين لإيمانهم ، وموالاته الكافرين لكفرهم :

ومن يوالي الكافرين ويحبهم ويناصرهم بسبب مبادنتهم الكفرية فقد نقض إيمانه قال الله تعالى : { لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ } ¹²⁶ (المجادلة: 22) . ومن يعادي المؤمنين فيحاربهم ويبغضهم ، وينصر أعداءهم عليهم بسبب إيمانهم فقد نقض إيمانه . قال الله تعالى : { وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِنْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (8) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (9) إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ } ¹²⁷ (البروج: 8-10) .

¹²² - "السفهاء" : ضعفاء العقول .

¹²³ - "خلوا" : انصرفوا إليهم .

¹²⁴ - "الطاغوت" : المراد به هنا الضليل كعب بن الأشرف اليهودي . "يصدون" : يعرضون إعراضاً .

¹²⁵ - "يقبضون أيديهم" : يبخلون بالإنفاق في الخير ، "فنسيهم" : أي حرمهم الله من توفيقه وهدايته .

¹²⁶ - "يوادون" : يتوددون . "حاد الله" : عاند وعادى الله ورسوله .

¹²⁷ - "وما نقموا" : وما أنكروا عليهم إلا إيمانهم بالله . "فتنوا" : ابتلوهم بالإيذاء، وذلك بإحراقهم بالنار .

وهؤلاء يندمون يوم القيامة بسبب سخريتهم واستهزائهم بالمؤمنين ، قال الله تعالى: {إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ(109)فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا¹²⁸ حَتَّىٰ أَنْسَوْكُم لِدُخْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ(110)إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَاقِرُونَ } (المؤمنون : 109-111) .

جهالات خطيرة

- مسلمون ولكن جهلة :

لقد عم الجهل بدين الله كثيراً من بلاد المسلمين ، حتى وجد المسلم الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة ، ويصوم رمضان ويحج البيت، ويؤمن بكل ما في القرآن؛ يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصدقه ويغار على الإسلام ، ومع ذلك تراه يأتي أفعالاً ويقول أقوالاً ، ويعتقد بمعتقدات توقعه في الكفر، أو الشرك ، أو النفاق ، وهو لا يعلم حقيقتها بل ربما ظن أن ما هو عليه من شرك وكفر ونفاق هو الصواب الذي يرضي الله . فهو مسلم يغار على دينه ولكنه واقع في الكفر أو الشرك بجهله الذي يعرضه لعذاب النار .

- الجاهل معذور ولكن يجب عليه أن يتعلم ويتبع الحق إذا جاءه :

إن من ثبت له الإسلام لا ينزع منه إلا بما ينقض الإسلام، والقصد والنية شرطان لصحة الأعمال . والجاهل الذي وقع في شرك أو كفر ينقض الإيمان ولم يقصد نقض إيمانه فهو معذور، وعليه أن يتعلم ويبادر بالتوبة ، فقد سأل الحواريون عيسى ابن مريم - جهلاً منهم - بقولهم كما جاء في القرآن :

{ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّفَقُوا اللَّهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } (المائدة: 112) .

فهم بهذا يجهلون أن الله على كل شيء قدير ، ومن كذب بقدرة الله فهو كافر ، ولكن الجاهل كان عذراً لهم عند الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه إلى خيبر مروا بشجرة ذات تعاليق (ذات أنواط) كان المشركون يعلقون عليها سيوفهم عند الحرب، ويعتقدون أنها تؤثر في نصرهم، فقال بعض المسلمين لرسول الله : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (سبحان الله هذا كما قال قوم موسى : { اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ } (الأعراف:138) والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم)¹²⁹ . لقد وقع أصحاب هذين السؤالين لموسى ، ومحمد صلى الله عليه وسلم جهلاً فيما يوجب الشرك ، فكان جواب محمد عليه وآله الصلاة والسلام : (لتركبن سنة من كان قبلكم) .

وكان جواب موسى عليه السلام : { إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ } (الأعراف:138) وما قال عيسى ولا موسى ، ولا محمد صلى الله عليه وسلم لهؤلاء الذين وقعوا جهلاً في الكفر، والشرك بعد أن صح إيمانهم: إنهم كافرون أو مشركون ، والله يقول: {.. وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } (الأحزاب: 5).

- لا عذر لأحد بعد العلم :

وإذا كان الأمر قد أصبح بهذه الخطورة ، فيجب على العلماء أن يبينوا للناس دين الله ، ويجب على من وقع جهلاً أو خطأ في كفر أو شرك أن يبادر بالتوبة ، قال تعالى عن العلماء الذين يكتُمون دين الله : { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الذِّبْطَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ(159)إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَٰئِكَ أَثُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } (البقرة: 159، 160).

¹²⁸ - "سخرياً" : مهزوءاً بهم .

¹²⁹ - رواه الترمذي وقال : حسن صحيح ورواه أحمد عن أبي راعد .

وقال سبحانه عن الذين يصرون على مخالفة دين الله وسنة رسوله، ويتبعون طريقاً غير طريق المؤمنين بعد أن جاءهم البيان: { وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَتُصْلِهِ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا }¹³⁰ (النساء: 115) .

ألوان من الشرك

- الإشراف مع الله في تصريف المخلوقات :

كل من اعتقد أن شخصاً يتصرف في هذا الكون ، ويضر وينفع بطريقة غيبية غير طريقة الأخذ بسنن الله التي قدر الله بها الخلق ، كأن يعتقد أن إنساناً من الأحياء أو الأموات يهب الأولاد ، ويجيب دعاء المضطر ويأتي بالمطر ، ويحمي البيوت أو الأنعام ، أو الأولاد، أو العرش من القوى الخفية الضارة فقد وقع في الشرك قال تعالى يصف نفسه : { لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (49) أَوْ يَزْوِجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ } (الشورى: 49، 50) ، وقال تعالى : { أَمَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ } (النمل: 62) ، وقال تعالى : { وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بَضْرًا فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بَخِيرًا فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (الأنعام: 17) ، وقال سبحانه : { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ }¹³¹ (الملك: 30) ، وقال تعالى : { يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذِكُّمُ اللَّهِ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ }¹³² (فاطر: 13) . والقطمير : هو لفافة النواة الرقيقة .

ألوان من الشرك في العبادات

1 - جعل نصيب من الرزق لغير الله :

الذي يقدم السمن أو العسل أو الحبوب لبعض الأشجار والأحجار، والقبور، والذي يقدم اللحم واللبن للجن ، والذي يجعل أول مولود من بقرته ، أو غنمته نذراً لغير الله، والذي يقدم البيضة (يكسرها) أمام العروس إرضاء للجن ، والذي يقدم شاة للجن في كل عام أو مرة واحدة لحماية بيته أو بئر معتقداً أن كل ذلك يؤثر بغير مشيئة الله ، كل من يفعل ذلك يقع في الشرك ، لقوله سبحانه : { وَمَا بَكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ مِنْ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَالْيَهُ تَجَارُونَ(53) ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضَّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ(54) لِيُكَفِّرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتُّوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ(55) وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَشَأَلْنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ }¹³³ (النحل: 53، 54) وقال سبحانه : { وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } (الأنعام: 136) وداخل في هذا من يرمي بسنة للشمس لتمنحه سناً أجمل .

2 - الذبح لغير الله :

130 - "يشاقق" : يخالف بعد معرفته للحق . "نوله" : نخل بينه وبين ما اختار لنفسه . "نصله" : ندخله جهنم.

131 - "غوراً" : غائر في الأرض لا ينال . "معين" : حاد على وجه الأرض .

132 - "يولج" : يدخل الليل في النهار والعكس . "سخر" : ذلل. والقطمير: هو لفافة النواة الرقيقة.

133 - "تجارون" : تضجون بالاستغاثة والتضرع . "تفترون" : تكذبون .

من ذبح لمكان معين مثل شجرة ، أو سوق ، أو قبة ، أو قبر ، فهذا كذب الجاهلية للأصنام التي كانوا يقيمونها للأصنام ، ومن تقرب بالذبح لغير الله فقد وقع في الشرك لأن الذبح عبادة ، قال تعالى : { **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ** } (الكوثر: 1، 2) ، وقال : { **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** } (الأنعام: 162، 163) .

وروى الإمام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لعن الله من ذبح لغير الله)¹³⁴ ومن أراد أن يخرج من حرج الذبح في الأهرار التي تقدم للناس ، فعليه أن يسوق الهجر ويقدمه حياً ويذبحه من له الهجر وبهذا لا يكون في الهجر ذبح لغير الله ، ولا يجوز الهجر لمكان معين بحال من الأحوال .

3 - دعاء غير الله :

بين الله سبحانه أن الدعاء عبادة، في قوله تعالى : { **وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** }¹³⁵ (غافر: 60) وبين الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله : (الدعاء هو العبادة)¹³⁶ فمن دعا غير الله سواء كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلًا ، أو ولياً من الصالحين ، أو جنياً من الشياطين ، أو أي إنسان حياً أو ميتاً فقد وقع في الشرك، قال تعالى : { **وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ (106)** } وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } (يونس: 106، 107) ، وقال سبحانه: { **إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** } (الأعراف: 194)، وقال سبحانه : { **قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (56)** } أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا } (الإسراء: 56، 57) .

4 - الحكم بغير ما أنزل الله :

من نبذ حكم الله ورفضه إلى حكم بشر أو أعراف وأسلاف تخالف الشريعة أو قوانين وضعية فقد عبد غير الله ، لأن الحكم عبادة قال تعالى : { **إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** } (يوسف: 40) ويصبح الحكم حكماً بالطاغوت ، قال تعالى : { **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا** } (النساء: 60) ، وقال تعالى : { **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** } (البقرة: 257) .

5 - استحلال المنكر والرضا بانتشاره :

فالراضون ظاهراً وباطناً بفشو المنكر وانتشاره ، مستحلين له كفار فاقدوا الإيمان، وإن هم زعموا أنهم من المسلمين ، فكيف بمن يبارك المنكر ويحبه ، إلى جانب استحلاله، كمن ينسب اليوم إلى الإسلام وهو يستحل ويحب ويرضى ويبارك أن تتعري النساء في الأسواق والمجتمعات العامة ، وأن يتم اختلاط الرجال بالنساء على الوجه المحرم ليمتع نفسه بالحرام، أو كمن يسبب المجتمعات الإسلامية المحافظة بسبب إسلامها ويستعزئ بها

¹³⁴ - الحديث بتمامه : (لعن الله من ذبح لغير الله . ولعن الله من لعن والديه . ولعن الله من آوى محدثاً . ولعن الله من غير منار الأرض) . أخرجه مسلم في صحيحه، وأحمد في مسنده ، والنسائي في سننه .

¹³⁵ - "داخرين" : صاغرین ذليلين .

¹³⁶ - أخرجه أحمد والترمذي .

وبأهلها ويتهمهم بالرجعية والتأخر ، وشتى نعوت النقص ، ويخاف إذا نودي في الناس بوجوب تحكيم كتاب الله تبارك وتعالى ، وغاية خوفه أن تختفي هذه الشهوات المحرمة أو أن تحارب الخمور.

وفي هؤلاء يصدق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسننه، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف ، يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل¹³⁷).

6 - ادعاء علم الغيب :

إذا ادعى شخص لنفسه أو لغيره علم الغيب فقد وقع في الشرك والكفر ، قال تعالى: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا(26)إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ..} (الجن: 26، 27) ، وقال سبحانه: {وَعِذَّةُ مُقَاتِحِ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ} (الأنعام: 59) ، قال سبحانه معلماً رسوله أن يقول: {قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (الأعراف:188).. إنه امتحان بسيط يفصح به الله الذين يدعون الغيب وهو أن يعرفوا التجارة الرباحة ويتاجرونها، وعندئذ يكونون أغنى الناس، أو يعرفون ما سيقع من المصائب فيجتنبوها فلا تقع لهم مصيبة .

ويدخل في هذا ما يقوم به المنجمون والكهان، قال عليه وآله الصلاة والسلام : (من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد)¹³⁸ ، وبعض الحقائق التي يأتي بها المنجمون والكهان وهي نادرة إنما هي من خبر الشياطين الجن، الذين يخلطون بالحقيقة تسعة وتسعين كذبة ، والمتصلون بالشياطين هم أخبث الناس ، قال تعالى : {هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ(221)تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ(222)يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ} (الشعراء: 221-223) .

7 - السحر والخداع :

ومن مارس السحر ، ودعا بأسماء الشياطين ، وعقد العقد ، ووضع التمانم والحروز التي تذكر أسماء الجن ، وفعل محبات ومكاريه للأزواج والزوجات فقد وقع في الكفر، قال تعالى: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ وَمَا أَنزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} ¹³⁹ (البقرة: 102) .

وليس السحر : ما يقوم به المجاذيب ، والذين يضربون رؤوسهم ، ويطعنون أجسامهم بالسيوف والخناجر .

وأما ما يقوم به الساحر من السحر الذي يخيل للناس أنه يخرج الحشا والأسحار من بطون الناس فهذا ضلال ، قال عليه وآله الصلاة والسلام : (ليس منا من تكهن ، أو تكهن له أو سحر أو سحر له أو تطير أو تطير له)¹⁴⁰ .

8 - الودع ، والقلاند ، وأكل تراب القبور والتمسح بها:

¹³⁷ - رواه مسلم وأحمد عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

¹³⁸ - الحديث أخرجه أحمد والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه وهو صحيح .

¹³⁹ - "فتنة" : ابتلاء واختبار . "من خلاق" : من نصيب في الثواب والجنة بل هم أهل النار .

¹⁴⁰ - "التطير" : هو التشاؤم بأصوات أو طيران بعض الطيور . رواه البزار بسند جيد .

ومن الجهالات اعتقاد بعض الجهلة أن للودع خصائص النفع في دفع الجن فيعلقونها على حيواناتهم وأولادهم ، وهناك من يعلق حبلاً وخيوطاً بدلاً عنها أو يعلق حروزاً فيها أسماء الجن ورسوم مجهولة أو يأكل تراب القبور ، ويتمسح بالتراب ، وكل ذلك من الضلال والجهل الذي يجب على كل مسلم أن يتجنبه لأنه لا يملك الضر والنفع إلا الله سبحانه .

وقد قدر الله لنا أقداراً ضارة نعرفها بعقولنا ، علينا أن ندفعها بالأقدار النافعة فنُدفع قدر الجوع بقدر الطعام ، وقدر المرض بقدر الدواء ، وما عجزنا عنه استعنا واستغثنا بمن بيده مقاليد كل شيء .

التقدم الذي تخلفنا عنه

إن المتأمل في أحوال المسلمين ، يجد أنهم قد أصبحوا عالة على غيرهم من الشعوب في تصريف أمور الدنيا : من صناعة ، وزراعة وتجارة ، وخبرات فنية . فما هو السبب في هذا التخلف المادي بل والتخلف الديني؟

بعد أن ضعف الإيمان في النفوس ، وضعفت الصلة بالله ، وضعفت الأخلاق والسلوك بدأ الفساد يدب شيئاً فشيئاً ، حتى خلف خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فتظالم الناس ، وكثرت الذنوب ، ونشأ الصراع بين المسلمين ، وتفشى الجهل بأمور الدين والدنيا معاً ، وكثرت البدع والخرافات ، وفقد المسلمون وحدتهم وأخوتهم ، وذهبت بذلك قوتهم ، وأصبحوا ينحدرون من سيء إلى أسوأ .

- الاستعمار عمق جذور التخلف فاستجبنا له :

وإذا كان الله يقول : { وَلَنَجْجَعَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا } (النساء: 141) فإن المسلمين بعد أن فقدوا الإيمان الصحيح ، وحلت محله الخرافات والبدع - إلا من رحم الله - أصبحوا مهينين لقبول حكم الكافرين ، الذين بذلوا كل جهودهم لمحاربة كل ما ينهض بالمسلمين في أمر دينهم ودنياهم ، ونتيجة لضعف الإيمان وجد منا من استجاب لمؤامرات الكافرين وأعانهم على إنجاح مؤامراتهم ضد المسلمين .

- أسباب التقدم في الدين والدنيا :

إن الأسباب التي تنهض بالمسلمين في أمور دينهم تتمثل في تعميق الإيمان في نفوسهم ، وتقوية صلتهم بخالقهم ، وإخلاص عبادتهم له سبحانه ، واتباع شريعته والتخلق بأخلاق الإسلام ، وتربية الأجيال على هذا كله ، فإن فعلوا ذلك اجتمعت كلمتهم وقويت شكوتهم ، ونصرهم الله على عدوهم .

وتتمثل الأسباب التي تحقق النهضة في أمر الدنيا في أن يحسن المسلمون الانتفاع بما أودع الله في أرضهم من خيرات .

وهم يحتاجون لتحقيق هذا إلى أسباب من أهمها :

1-توفير الخبرات الفنية والأيدي العاملة المدربة .

2-توفير الأموال والمواد الخام .

3-توفير المصانع والأسواق المستهلكة لما تنتجه المصانع .

4-وجود النظام العادل الذي يشجع العمل ، ويمنع الظلم والطغيان.

ولا شك أن هذه الأسباب من أنواع البر الذي يحثنا ديننا على الأخذ بها وتحقيق التعاون للقيام بها خاصة والحاجة إليها ماسة ، لأن المسلمين إن أهملوها كما هو الواقع احتاجوا وذُلُّوا للكافرين ، والله يقول : { وما جعل عليكم في الدين من حرج } (الحج: 78) إن الله قد أمرنا أن نتعاون على

البر الذي يتسع لهذا كله ويتسع لغيره ، ونهانا عن الإثم والعدوان ، بكل صوره ، قال تعالى : { وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب } (المائدة: 2) .

بإمكاننا مثلاً أن نقيم كلية للشرعية ، أو الهندسة ، أو الصيدلة ، أو العلوم ، أو الزراعة أو الطب في كل شهر ، لو دفع كل يماني نصف ريال ، ومن هذه الكليات نستطيع أن نكتشف خيرات البلاد ، وأن نحسن الانتفاع بها ، وبإمكاننا أن نجد المدربين للأيدي العاملة .
لو دفع كل يماني ريالاً في كل شهر ، عندئذ نستطيع أن نقيم شركة أو مصنعاً نافعاً فكيف لو دفع كل منا ما يستطيع؟! عندئذ نختصر طريق النهضة المادية في سنوات معدودة .

لقد جعل الله بلاد المسلمين غنية بالثروات ، ولكننا لضعفنا عجزنا عن الانتفاع بهذه الخيرات ، إلا تحت إشراف غيرنا من الكافرين .

- محاربة المستعمرين لأسباب تقدم المسلمين :

لقد خضعت معظم بلاد المسلمين عشرات السنين لحكم الكافرين الذين لم يتركوا فرصة لحرب الإسلام والمسلمين إلا وانتهزوها ، فحاربوا الدين في كثير من الميادين ، ومن أهمه:

- 1-إلغاء الشريعة من أن تحكم بلاد المسلمين .
- 2-محاربة التعليم الديني في المدارس والمعاهد والجامعات .
- 3-محاربة علماء الإسلام العاملين .
- 4-إنشاء الأحزاب الإلحادية المحاربة للدين .
- 5-تشجيع البدع والخرافات ، والمتاجرة باسم الدين .
- 6-إفساد المرأة وأحوال الأسرة ، ونشر الخلاعة والفساد الخلقي .
- 7-بعث أسباب الخلاف والفرقة والعداوة بين المسلمين .

ولقد حذرنا الله من طاعة أهل الكتاب ، فقال سبحانه: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ آوَوْا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ } (آل عمران: 100) .

وأما محاربة المستعمرين لقوة المسلمين المادية فقد كان من أبرزها :

- 1-إيجاد الحدود المفرقة الفاصلة بين المسلمين .
- 2-الاستيلاء على ثروات المسلمين .
- 3-إيجاد جيل من أبناء المسلمين رباهم على يد عملائه من المنصرين (المبشرين) والمستشرقين ، وأوهموهم أن تقدم المسلمين لا يكون إلا بمحاربة الدين وإفساد المرأة باسم (تحرير المرأة) من قيود الأخلاق والفضيلة والفقه وإباحة الخمر والزنا، وبمحاربة الشريعة واستبدالها بالقوانين الوضعية .

وبدلاً من أن يتوجه هؤلاء إلى إقامة المصانع والشركات ، والكليات والجامعات والمختبرات توجهوا إلى محاربة الشعوب الإسلامية ، في عقائدها وأخلاقها وشريعتها ومبادئها، وأصبح المصلي في نظر هؤلاء رجعيًا متخلفاً ، وتارك الصلاة تقدماً ، والمرأة العفيفة الشريفة رجعية متأخرة ، والفاسقة الفاجرة تقدمية ، والذي يصون عقله وبدنه من الخمر رجعيًا متزمتاً ، والعربيد تقدماً متحرراً .

أين المصانع ؟ ... أين الشركات؟ ... أين المختبرات ؟

لقد صرفنا المستعمرون وتلاميذهم عن الأخذ بأسباب التقدم المادي الصحيح .

4 – جعل أعداء الإسلام المسلمين معتمدين عليهم وعلى مصانعهم وإنتاجهم .

وعلينا أن نفهم أن التقدم الذي وقع في بلاد الكافرين لم يكن بفضل الكفر، لأن الكفر قديم من قبل ظهور الإسلام، ولم ينتج الكفر لأهله في القديم طائرات أو صواريخ أو كهرباء أو غيرها، لكن تقدمهم المادي تحقق لهم لأنهم أخذوا بالأسباب التي جعلتهم يتمكنون من النعم التي بسطها الله لعباده فقال سبحانه : { كُلَّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا } (الإسراء : 20) فأخذوا عطاء الله لأنهم عملوا ، وحرمنا لأننا تكاسلنا .

طريق النجاح

ويوم أن يتمسك المسلمون بدينهم على الوجه الصحيح، عندئذ يعود مجدهم وينصرهم الله على عدوهم ، فيسهل لهم عندئذ أن يأخذوا بكل أسباب النجاح في أمور الدين والدنيا .

{ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ } (آل عمران:8) .

وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .